الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإسلامية

مطبوعة في مقياس

التفسير والحديث الموضوعي

الموجه لطلبة السنة الأولى ماستر، شعبة الفقه

إعداد : د/ ليلى معاش

السنة الجامعية: 2023-2024م

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 2
المقدمة 6

المحاضرة الأولى

مفهوم التفسير الموضوعي وأهميته

مفهوم التفسير في اللّغة:..... 7
التفسير في اصطلاح العلماء:..... 9
مفهوم الموضوع في اللّغة:..... 12
مفهوم "الموضوع "في الاصطلاح: 15
مفهوم القرآن في اللّغة:..... 15
مفهوم القرآن في الاصطلاح: 17
مفهوم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في اصطلاح الباحثين:..... 18
أهمية التفسير الموضوعي وما مدى الحاجة إليه:..... 21

المحاضرة الثانية

نشأة التفسير الموضوعي وتطوره

أولا: بذور المنهج الموضوعي في التفسير. 23
ثانيا: لبنات التفسير الموضوعي. 24
ثالثا: دور المستشرقين في تطور التفسير الموضوعي. 28
رابعا: المعاصرون والتفسير الموضوعي. 31

المحاضرة الثالثة

منهج التفسير الموضوعي وعلاقته ببقية مناهج التفسير

أولا: تعريف كلمة منهج: 36
المعالم المنهجية للتفسير الموضوعي:..... 36
الضوابط العامة المتعلقة بالتفسير:.....36
ضوابط خاصة متعلقة بالتفسير الموضوعي: 37
ثانيا: علاقة التفسير الموضوعي بمناهج التفسير الأخرى:..... 38

التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي: 38
التفسير الموضوعي والتفسير الإجمالي: 38
التفسير الموضوعي والتفسير المقارن: 39
ثالثا: مصادر التفسير الموضوعي:..... 39

المحاضرة الرابعة

أنواع التفسير الموضوعي وخطوات البحث فيه

أولا: أنواع التفسير الموضوعي..... 41
النوع الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني. 41
النوع الثاني: التفسير الموضوعي للسورة. 43
النوع الثالث: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني. 43
ثانيا: خطوات البحث في أنواع التفسير الموضوعي. 44

المحاضرة الخامسة

نماذج تطبيقية في التفسير الموضوعي مصطلح "الظلم " في القرآن الكريم

أولا: تعريف الظلم لغة واصطلاحا. 51
تعريف الظلم لغة: 51
تعريف الظلم في الاصطلاح الشرعي: 54
ثانيا: معاني الظلم ودرجاته في القرآن. 56
أوجه ذكر كلمة الظلم في القرآن: 56
ثالثا: ألفاظ مقترنة بالظلم في القرآن. 62
رابعا: أساليب ذكر الظلم في القرآن الكريم. 64
خامسا: نفي الظلم عن نفسه تبارك وتعالى وإثباته في حق الإنسان. 65
1. العدل حقيقة ربانية: 65
أ- السياق الأول: إنزال العقوبات على الأمم الظالمة: 66
ب- السياق الثاني: الجزاء على العمل: 67
ج- السياق الثالث: قبول أعمال المؤمنين وبطلان أعمال الكفار: 69
2. الظلم خاصية إنسانية: 70
3. النهي عن الظلم والأمر بضده: 70
4. نفي محبته عن الظالمين وإثباتها للمقسطين: 73

المحاضرة الخامسة

نماذج تطبيقية في التفسير الموضوعي سورة الفاتحة نموذجا

بين يدي السورة: 76
أولا: أسماؤها. 77
أ- الفاتحة أو (فاتحة الكتاب):.....77
ب- أم الكتاب: 78
ج- السبع المثاني:.....82
د- سورة الصلاة:.....82
ثانيا: فضائلها. 83
ثالثا: عدد آياتها..... 84
رابعا: وقت نزولها. 84
خامسا: الظروف التي نزلت فيها. 84
سادسا: المحور الأساسي لسورة الفاتحة. 84
سابعا: موضوعات سورة الفاتحة. 85
ثامنا: مقاصد السورة ودلالاتها التربوية. 87
الخاتمة: 90

المحاضرة السابعة

النفاق في القرآن الكريم

مقدمة: 91
أولا: مفهوم النفاق. 92
1. تعريف النفاق في اللغة: 92
2. تعريف النفاق في الاصطلاح الشرعي:.....93
ثانيا: أنواع النفاق. 94
1. النفاق الأكبر -النفاق الاعتقادي-:.....94
2. النفاق الأصغر -النفاق العملي-: 96
وهو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحةً، ويُبطن ما يُخالف ذلك وأصول هذا النفاق
ترجع إلى حديث عبد الله بن عمر، وعائشة ﷺ، وهي خمسة أنواع: 96
3. الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر: 97

ثالثا: صفات المنافقين. 97
رابعا: آثار النفاق وأضراره. 102
خاتمة: 104
مراجع المادة..... 108

المقدمة

لحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وبعد،

هذه مذكرة في مادة التفسير والحديث الموضوعي أتقدّم بها إلى طلبتي الأعزاء، حاولت فيها أن أجمع أهم مفرداتها النظرية والتطبيقية، ويقصد بالجانب النظري المباحث المتعلقة بتأصيل وتقعيد علم التفسير الموضوعي وعلم الحديث الموضوعي، وبالجانب التطبيقي الدراسات القرآنية التي تعلّقت بمصطلحات قرآنية، أو بسور ومواضيع قرآنية، هذا فيما يتعلق بالتفسير، ويقصد به أيضا الدراسات الحديثية المتخصصة بأحاديث معينة يجمع بينها موضوع واحد . والغاية من تلك الدراسات سواء كانت قرآنية أو حديثية هو استلهام الهدي الإلهي باستكشاف حقائق القرآن والسنة في جميع جوانب الحياة الإنسانية.

لا يخفى على طالب العلوم الشرعية أهمية وشرف العلوم المرتبطة بالوحي وأشرفها علم التفسير، والذي هو في حقيقته محاولة للكشف عن مراد الله تعالى حسب الطاقة البشرية، وعلم الحديث الذي لا يمكن أن يفسر القرآن تفسيرا صحيحا بدونه.

وقد تعددت مناهج العلماء في التعامل مع النص القرآني ممّا أفرز ألوانا من التفسير يكمل بعضها بعضا، وعجّ كل عصر من العصور بمصنفات في الدرس التفسيري خدمت الأمة في ذلك العصر ولبت احتياجاتها.

وفي العصر الحديث ظهر التفسير الموضوعي بقوة لحاجة الأمة إليه، فهي تعيش عصر الثورة المعرفية والنظريات العلمية والاهتمام العظيم بالمناهج العلمية المتصفة بالنظرة الشمولية والتكاملية.

ولنفس الأسباب ظهر الحديث الموضوعي كمعلم من معالم تطور البحث في السنة النبوية ليدفع بهذا العلم أكثر نحو تحقيق فاعليته وتفاعله مع واقع الامة وقضاياها

أضع هذه المطبوعة بين أيديكم الكريمة أعزائي الطلبة راجية من الله أن تيسر لكم سبيل استيعاب هذه المادة وهي لا تغنيكم عن مطالعة الكتب المتخصصة والأبحاث المتعلقة بالجوانب التطبيقية للتفسير والحديث الموضوعيين.

المحاضرة الأولى

مفهوم التفسير الموضوعي وأهميته

إنّ الوصول إلى مفهوم دقيق للتفسير الموضوعي يستدعي تحليل هذا المفهوم لغويا. والتحليل يستلزم تفكيك الألفاظ المركّبة له، وتحصيل معانيها المستقلة، المستفادة من الدلالات المعجمية والصرفية والصوتية. والكلمات المكوّنة لهذا المصطلح ثلاثة: التفسير، الموضوع، القرآن.

مفهوم التفسير في اللّغة:

الدلالة الصوتية: الفاء حرف شفوي والسين حرف أسلي[1]، والراء ذليقي[2]، وهذه المخارج متقاربة، وتقاربها ييسّر نطق الكلمة. وصوت السين يدل على السعة[3] والحسن، لليونته عن صلابة الصاد وارتفاعه عن خفوت الزاي[4]. وتدلّ الرّاء على التّكرار والتّرديد[5]، أمّا الفاء فتدلّ على الوهن والضّعف لكن ضعفها يختفي بقوة التاء والراء وصيغة التفعيل التي تحمل معنى الكثرة والقوة.

---

(1) أسلي نسبة لأسلة اللسان أي ما استدق من طرفه. ينظر: الفراهيدي: الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، [د.ط.ت]، (58/1).

(2) أي تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(3) ينظر: - ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، الخصائص، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4/[د.ت]، (88/2).

(4) العين، مصدر سابق، 54/1.

(5) ينظر: - ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، سر صناعة الإعراب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/2000م، (203/2).

كلّ تلك المعاني اليسر والسعة والحُسن والتكرار والقوة نلاحظها في العمل الممنهج للمفسّر، حتى معنى الضعف والوهن الذي ينطوي عليه حرف الفاء، يتجلّى في التفسير إذا انعدم فيه استفراغ الجهد للوصول إلى المعنى المراد[1].

الدلالة الصرفية: جاءت كلمة تفسير على صيغة تفعيل ممّا يفيد معنى التكرار والمبالغة والقوّة، وهذه المعاني حاضرة في عملية التفسير، لأن المفسّر يبالغ في استفراغ الجهد للكشف عن المعنى المراد زيادة في الحيطة والحذر، فهو يتعامل مع النص القرآني أي كلام الله تعالى.

ويلحظ التكرار في عملية التفسير لأنّ المفسّر يحتاج إلى العود إلى الآيات وإلى المعاني، لأنّ حضورها متجدد في الآيات، والوصول إلى تلك المعاني لابد أن يكون مشفوعا بما يقوّيه من القواعد المنهجية والضوابط الّتي تحمي التّفسير من الوهن والضعف[2].

الدلالة المعجمية: مادة الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ، وان اختلفت مواقع حروفها في ثلاث تركيبات (ف. س. ر/س. ف. ر/ف. ر. س). فالفسر والسفر والفرس من أصل واحد في الاشتقاق الأكبر[3] كلّها بمعنى الكشف والإبانة.

فأمّا الفرس ومنه التفرّس والفراسة فينطوي على معنى الكشف لأنه يعني عمقا في النظر يكشف خبايا النفوس والطّباع. وأمّا السّفر والفسر فمعناهما واحد وهو البيان والكشف عن المغطّى، وذكر الراغب الأصفهاني فرقا دقيقا بينهما فقال: "الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول تفسرة، وتسمى بها قارورة الماء. وجُعل السفر لإبراز الأعيان

---

(1) ينظر: – كوريم: سعاد، تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج، مجلة إسلامية المعرفة، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 49، سنة 2007م، ص 81.

(2) المرجع نفسه، ص 82.

(3) الاشتقاق الأكبر وهو أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية3، فتعقد عليه وعلى تقاليبه4 الستة معنًى واحدًا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه". ينظر: ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، (135/2).

للأبصار، فيقال: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح وسفرت البيت إذا كنسته..."[1].

وجاء التفسير مبالغة في الفسر وهو البيان والكشف عن المراد عن اللفظ المشكل[2] قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]، أي أحسن توضيحًا وبيانًا للمطلوب. وقيل مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض[3].

ويوضح أبو البقاء الكفوي المعنى اللّغوي بما يجعل المعنى الاصطلاحي قريبا منه فقال: "التفسير هو الاستبانة والكشف والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل، وقال أهل البيان: التفسير هو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله"[4].

التفسير في اصطلاح العلماء:

تعددت تعاريف العلماء لمصطلح التفسير، ونلحظ في تعاريفهم تقاربا وتباينا، تتفق كلّها في معنى الكشف والبيان عن المعنى المراد من القرآن الكريم وتختلف في تضييق المفهوم أو التوسّع فيه، وذلك حسب اختلاف توجّهات رجال التّفسير في إدخال علوم القرآن وغيرها من العلوم المعتمدة في التفسير أو عدم إدخالها. وينكشف هذا التباين في التعاريف الآتية:

---

(1) ينظر: – الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، طنطا: كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1/1999م، (10/1).

(2) ينظر: – ابن منظور: محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري (ت711هـ). لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3/1414هـ، (55/5).

(3) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ). الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1/1974م، (173/2).

(4) – الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت1094هـ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2/1972م، (13/1).

أبو حيان الأندلسي عرّف التفسير بقوله: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك"[1].

وعرفه الزركشي رحمة الله عليه بقوله: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ"[2].

وعرفه العسكري في الفروق بقوله: "التفسير: كشف معاني القرآن وبيان المراد منه"[3]. وعرفه الكافيجي بقوله: "هو علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث أنه يدلّ على المراد بقدر الطاقة البشرية"[4]، وهو نفسه التعريف الذي اختاره الزرقاني في المناهل[5] دون أن ينسبه للكافيجي[6].

ففي تعريف أبي حيان والزركشي إدخال لعلوم تعلّقت بالقرآن، كعلم القراءات وعلوم اللّغة والأصول وهي أدوات لعلم التفسير، أما التعريفين الأخيرين فقد اقتصر صاحباهما على بيان حقيقة التفسير. وتوصّل الذهبي إلى أن جلّ التعاريف تتفق على

---

(1) – ابن حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت 745هـ). البحر المحيط في التفسير= تفسير أبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ط1/1420هـ، (26/1).

(2) – الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ). البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط1/1957م، (13/1).

(3) – العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت 395هـ) معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ط1/1412هـ، ص132.

(4) – الكافيجي: محمد بن سليمان. التيسير في قواعد علم التفسير، تحقيق: ناصر بن محمد المطرودي، الرياض: دار الرفاعي للنشر، ط1/1410هـ، ص 150.

(5) ينظر: – الزرقاني: محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ). مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1/1995 م، (6/2).

(6) الغريب أن الدكتور سامر رشواني وهو أحد الباحثين في القرآن الكريم نسب هذا التعريف لأبي حيان الأندلسي، وقال: إنه تعريف ثان له محيلا على كتاب مناهل العرفان للزرقاني. إلا أنه وبعد البحث –وفي حدود ما توفر لدي من مادة– لم أجد تعريفا لأبي حيان غير التعريف الذي تناقله العلماء عنه، والزرقاني لم ينسب لأبي حيان تعريفا آخر غير الذي عرف عنه. ينظر : مناهل العرفان، مرجع سابق، (195/4)؛

– رشواني: سامر عبد الرحمان. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، حلب: دار الملتقى، ط1/2002م، ص 25.

أن علم التّفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطّاقة البشريّة[1].

يلاحظ بعض الباحثين اليوم قصورا في أكثر تعاريف القدامى، فهي مع ضبطها لمفهوم العملية التفسيرية وأدواتها ضلّت قاصرة عن بيان الهدف من التفسير، ومنهم الدكتور زياد خليل الدغامين حيث جاء قوله: "وبالرغم من انضباط هذه المعاني واتزانها وقيمتها في بيان معانى القرآن، إلّا أنّ هناك شيئاً ظلّ مبهماً، وهو ما هدف هذا الفهم لكتاب الله، وما هو مستواه بالنسبة إلى الأمّة والفرد؟ أعنى: الفهم المحرّك للأمّة نحو عملية البحث والبناء والضرب في الأرض لقيادة مركّب المدنية وتوجيه الحياة البشريّة، والفهم الذى يربط الفرد بقضايا أمته ومجتمعه ليكون عضواً نشطاً قادراً على مشاركة الأمة في الخروج من أزماتها ونكباتها"[2].

والسؤال الذي يطرح: هل بيان الهدف من العلم من مستلزمات التعريف أم الغرض من التعريف هو بيان مفهوم الشيء وتميّزه عن غيره؟

إنّ بيان الهدف من التّفسير يتعلّق ببيان المنهج في التّفسير وليس بتعريف هذا العلم، والخلط بين المفهوم والمنهج في تعاريف المعاصرين بارز في كثير من الدراسات القرآنية الحديثة.

والعديد من العلماء القدامى ركّزوا في مؤلّفاتهم على بيان الهدف من التّفسير، الّذي هو نفسه المقصد من إنزال القرآن الكريم، وهو هداية الناس وتعبيدهم لربّ العالمين وإصلاح معاشهم في الدنيا ومآ لهم في الآخرة.

وقد تعود دعوة بيان الهدف من التّفسير في التعريف الاصطلاحي لهذا العلم إلى حاجة العصر الماسّة في ارتباط التفسير بواقع الأمة ودوره في النهوض بها، ولتغير طريقة تعامل المسلمين مع القرآن الكريم عن تعامل السلف الصالح معه، وهذا ظاهر في كلام الدغامين[3].

---

(1) ينظر: - الذهبي: محمد السيد حسين الذهبي (ت1398هـ). التفسير والمفسرون، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2000/1م، (14/1).

(2) ينظر: - الدغامين: زياد خليل. تفسير القرآن: إشكالية المفهوم والمنهج، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، العدد 81، السنة: 1996م.

(3) ينظر: تفسير القرآن: إشكالية المفهوم والمنهج، المرجع السابق نفسه.

ومن تعاريف المحدثين تعريف رشيد رضا وهو مستخلص من حديثه عن التفسير حيث قال: "هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة"[1].

وعرفه البشير الإبراهيمي في مقدمة تفسير ابن باديس: "تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه والتفهيم تابع للفهم"[2].

أما الشيخ طاهر بن عاشور فيعرفه بأنّه "اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[3].

مفهوم الموضوع في اللّغة:

الدلالة الصوتية: الواو غير المدية حرف شفوي والضّاد ذو مخرج فريد متميز وهو أدنى حافتي اللسان مع ما يليها من الأضراس العليا، أمّا حرف العين فهو حلقي، واجتماع هذه الأصوات مع اختلاف مخارجها واشتراكها في صفة الجهر يوحي بالقوة. ووجود الواو في أول كلمة "وضع" وهو حرف ذو إيحاء بصري[4] يلائم حدث الوضع سواء كان ماديا أو معنويا، لأنه عمل يتطلب أولا إبصار مكان الوضع وذلك في المحسوسات، وإبصار العلاقة التي تربط بين الجزئيات وذلك في المعنويات، والتي لا يمكن للباحث في التفسير الموضوعي أن يجمع الآيات ويحدد عناصر الموضوع بدونها. ويعدّ الضاد من أدقّ الحروف العربية نطقا، يوحي بالصّلابة والشدّة والضخامة والامتلاء والنّصاعة والصفاء والتميز. وحرف العين من أعسر الحروف العربية نطقا يدل

(1) – رضا: محمد رشيد بن علي بن محمد القلموني الحسيني (ت 1354هـ). تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، [د.ط]/1990م، (17/1).

(2) – ابن باديس: عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت 1359هـ). مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير = تفسير ابن باديس، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1995م، ص17.

(3) – ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير=تفسير الطاهر ابن عاشور، تونس: الدار التونسية، ط1/1984م، (11/1).

(4) – عباس: حسن. خصائص الحروف العربية ومعانيها، القاهرة: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1/1998م، ص94.

على الصلابة والمرونة والفعالية والقوة، ولكن وروده في آخر الكلمة يضعفه"[1] إلا أنّ المرونة التي يمتاز بها هذا الحرف تنعكس على تعامله مع الحروف، فهو إمّا أن يشدها إلى تحقيق خصائصه الذاتية من الفعالية والقوة والصفاء وإمّا أن ينساق معها للتعبير عن مختلف خصائصها ليضفي عليها كثيرا من الفعالية والعيانية والظهور[2]. وكل هذه الإيحاءات الصوتية من القوة والصلابة والنصاعة والتميز والقوة والفعالية تسري في الموضوعات القرآنية، ويجدر بالباحثين في التفسير الموضوعي دراستها بشكل يحافظ به على تلك المعاني والميزات.

الدلالة الصرفية: جاءت لفظة "موضوع" على صيغة مفعول وهو اسم مشتق من فعل مبني للمجهول للدلالة على صفة من وقع عليه الحدث، سواء كان الموضوع عينا ككتاب وضع على الطاولة فهو موضوع أو مجموعة من المعاني وضعت للدلالة على فكرة واحدة فصارت موضوعا مثلا: النفقة، المهر، المعاشرة بالمعروف، السكن، ترتبط لتشكل موضوعا واحدا هو حقوق الزوجة في القرآن.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الصيغة مشتقة من فعل مبني للمجهول للدلالة على وصف من وقع عليه الحدث، فإذا أراد الباحث إسقاط هذه الدلالة على الموضوع في التفسير الموضوعي، فإنّ ذلك يفيد أنّ الموضوعات التي يريد الباحث تفسيرها قد وجدت في القرآن الكريم وما على الباحث إلّا استكشافها. وتطرح إشكالية مهمة في التفسير الموضوعي: هل المواضيع في التفسير وجدت في القرآن الكريم ابتداء وما على المفسر إلا الكشف عن موضوعاته، أم يضعها المفسر انطلاقا من أفكاره وثقافته أو من واقع أفرز قضايا بعضها تناوله القرآن الكريم صراحة أو ضمنا وقد لا يكون لبعض القضايا علاقة بالآيات القرآنية، فيعمد المفسر إلى تحميل الآيات معان لا تتحملها قصد الاستدلال لموضوعه والانتصار لفكرته...؟ لذلك عمد الباحثون القائمون على تأصيل هذا اللّون من التفسير إلى اشتراط قرآنية الموضوع مجال الدراسة.

الدلالة المعجمية: قال ابن فارس: "الْوَاوُ وَالضَّادُ وَالْعَيْنُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى

(1) خصائص الحروف العربية ومعانيها، مصدر سابق، ص207.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 107.

الْخَفْضِ [لِلشَّيْءِ] وَحَطِّهِ. يقال: وَضَعْتُهُ بِالْأَرْضِ وَضْعًا ووضعت المرأة ولدها"[1]، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان وعدم براحه، قال الْأَصْمَعِيّ: وَضَعَ ذَلِكَ الشَّيْءَ مَوْضِعَهُ، فَهُوَ يَضَعُهُ، وَتَرَكْتُ الْإِبِلَ وَاضِعَةً بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا: أَيْ مُقِيمَةً لَا تَبْرَحُ"[2]. ويقول الراغب الأصفهاني: "الوَضْعُ أعمّ من الحطّ، ومنه: المَوْضِعُ. قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾ [النساء: 46]... ووَضْعُ البيتِ: بناؤُهُ. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: 96]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ﴾ [الكهف: 49] هو إبراز أعمال العباد نحو قوله: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾ [الإسراء: 13]"[3]..

ولفظ الوضع يطلق في المحسوسات والمعاني كلفظ الفسر، قال الجرجاني في توضيح الوضع المعنوي: "الوضع: لغة: جعل اللّفظ بإزاء المعنى"[4].

وجاءت كلمة موضوع في المعاجم الحديثة للدلالة على المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه[5]. وبهذا المعنى قد تعدّ كلمة مستحدثة.

و تظهر جليا العلاقة بين دلالة التثبيت وعدم البراح -والتي يدل عليها أصل الكلمة في اللغة- وبين عمل المفسر بمنهجية التفسير الموضوعي، حيث يرتبط المفسر بمعنى معين

---

(1) - ابن فارس: أحمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ط1/1979م، (117/6).

(2) - الحربي: إبراهيم بن إسحاق أبو إسحاق (ت 285هـ). غريب الحديث، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1/1405هـ، (913/3).

(3) - الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق: الدار الشامية، ط1/1412هـ، ص 874.

(4) الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت 816هـ). التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/1983م، ص252؛ وينظر: السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، القاهرة: مكتبة الآداب، ط1/2004م، ص 118.

(5) ينظر: - مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، المعجم الوسيط، الرياض: دار الدعوة، [د.ط.ت]، ج2 ص 1040.

ويثبت عليه يوضحه ولا يبرحه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده[1].

مفهوم "الموضوع "في الاصطلاح:

عرفه أبو البقاء الكفوي بقوله: "الموضوع هو عبارة عن المبحوث بالعلم عن أغراضه الذاتية"[2]، وعرّفه صاحب التّعريفات بقوله: "تخصيص شيء بشيء متى، أطلق فهم منه الشيء الثاني، وعند الحكماء: هو هيئة عارضة للشيء بسبب نسبتين: نسبة أجزائه بعضهما إلى بعض، ونسبة أجزائه إلى الأمور الخارجة عنه كالقيام والقعود، فإن كلا منهما هيئة عارضة للشخص بسبب نسبة أعضائه بعضها لبعض، وإلى الأمور الخارجة عنه"[3].

وإطلاق لفظ الموضوع في علم التفسير الموضوعي ينصرف حتما إلى الموضوع القرآني وقد عرفه الباحثون بتعريفات خاصة ودقيقة.

عرفه عبد الستار سعيد بقوله: الموضوع عند علماء التفسير:" القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة"[4]، وعرفه مصطفى مسلم بقوله: "هو قضبة أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم"[5].

مفهوم القرآن في اللّغة:

الدلالة الصوتية: القاف حرف لهوي والراء حرف ذلقي والألف جوفي، واجتماع هذه الأصوات مختلفة المخارج والخصائص وبالتالي الإيحاءات، يجعل من هذه المادة الصوتية قوية الدّلالات خاصة إذا كان المقروء قرآنا.

---

(1) سعيد، عبد الستار فتح الله. المدخل إلى التفسير الموضوعي، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1991/2 م، ص 23.

(2) الكليات، مصدر سابق، ص 868.

(3) التعريفات، مصدر سابق، ص 253.

(4) ينظر: سعيد، عبد الستار فتح الله، مرجع سابق،ص 20.

(5) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص 16.

خاصية الجهر في الأصوات الثلاثة توحي بالقوة وحرف القاف في أول اللفظ، لقوته وانفجاره الصوتي يتضمن إيحاء سمعيا يلائم حدث القراءة خاصة إذا كان المقروء كلام رب العالمين قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:204]، وحرف الراء بذلاقته يفيد اليسر ويتناسب مع تيسير ترتيل القرآن، ويوحي بمعنى التكرار والترديد الذي يتطلبه فعل القراءة ليترسخ المعنى[1]، أما الألف المهموزة مع شدتها وقوتها تتضمن إيحاء بصريا يدل على الحضور والبروز[2]، وهي معاني ترتبط بما ينتج عن القراءة المتكررة والواعية من بروز للمعاني واتضاح للمراد.

الدلالة الصرفية: من المعلوم عند أهل اللغة أن وزن فعلان وضع للدلالة على معنى المبالغة، فالقرآن سمي قرآنا للدلالة على بلوغه الذروة في القوة والحُسن والوضوح.

الدلالة المعجمية: الأصل في هذه اللفظة الجمع والضمّ. يقال: قرأ الشيءَ: جَمَعَه وضَمَّه، أَي ضَمَّ بعْضَه إلى بعضٍ[3]، أو الظهور والبيان، فقرأ قد تأتي بمعنى أظهر ومنه القرء وهو الدم لظهوره والقرء الوقت ولا يكون إلا بما يظهره[4].

إذن سمّي القرآن قرآنا "لأنه جمع القصص، والأمر والنّهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران[5].

ويرى ابن عباس أن معنى قرآن في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة:17]، هو نفسه القراءة، "والقِرَاءَةُ: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التّرتيل، وليس يقال ذلك لكلّ جمع"[6].

ومعاني الجمع والضّم تعبر عن القوة، والضمّ أقوى من الجمع لأنّ الضّم يعبّر عن التلاحم والتناغم، وهو أشدّ ظهورا في القرآن الكريم باعتباره علما على كتاب الله.

---

(1) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن، سعاد كوريم، مرجع سابق، ص 86.

(2) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، مرجع سابق، ص 94.

(3) ينظر: – مرتضى الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت 1205هـ). تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت: دار الفكر، ط1414/1هـ، (363/1).

(4) ينظر: البرهان في علوم القران، مصدر سابق، (277/1).

(5) ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (129/1).

(6) الكليات للكفوي، مصدر سابق، (703/1).

وقد يكون القرآن سمي قرآنا لأنه يوضح بعضه بعضا، ويمكن الجمع بين المعنيين الجمع والضّم والظهور والبيان، فيرتبط هذه اللّفظ بالبيان والكشف المنهجي للمعاني من خلال ضمّ الكلام بعضه إلى بعضه ودليل ذلك ما قاله ابن عباس في تأويل الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة:18]، قال: "فإذا بيَّناه لك بقراءتنا، فاتبع ما بيناه لك"[1]. فالقرآن يأتي بمعنى البيان وهو الغرض منه.

ويتضح المعنى أكثر فيما نقله السيوطي عن الفراء في أصل اشتقاق كلمة "قرآن" قوله: "هو مشتق من القرائن لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشبه بعضها بعضاً، وهي قرائن، أي: أشباه ونظائر"[2] يوضح بعضها بعضا.

وقول الفراء يعبّر بوضوح عن خاصية الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، والّتي هي الحجر الأساس الذي ينطلق منه المفسر بمنهجية التفسير الموضوعي، وهذا المعنى حاضر في القرآن سواء اشتق من قرأ أو قرن أو قرائن أو هو اسم علم لم يشتق.

مفهوم القرآن في الاصطلاح:

اجتهد العلماء في الوصول إلى صياغة تعريف للقرآن الكريم يكون جامعا مانعا، والقصد من التعريف ليس المعرفة بالقرآن، فهو أعرف من أن يعرف وإنما القصد تمييزه عن غيره، فجمعوا في التعريف العديد من الخصائص التي تميّز القرآن عن غيره كالإعجاز والكتابة في المصاحف وتواتر النقل وغيرها، وجاءت تعاريفهم متباينه من حيث التفصيل والاختصار والتوسط[3]، حسب مدى ذكرهم للأوصاف المتعلقة بالقرآن.

ونقل الشيخ محمد دراز تعريفا للقرآن أشد اختصارا وهو قولهم: "القرآن هو كلام الله تعالى، المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته"[4].

---

(1) – الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي (ت 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1/2000م، (97/1).

(2) الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، (182/1).

(3) ينظر: مناهل العرفان، مرجع سابق، (19/1).

(4) – دراز: محمد بن عبد الله (ت1377هـ). النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، بيروت: دار القلم للنشر والتوزيع، ط1/2005م، (43/1).

وما يهمّ في التعريف ليس الطول والقصر وإنما أن يكون جامعا مانعا، وهذا التعريف مع اختصاره هو جامع مانع لأنه ركز على أهم الأوصاف التي يخرج بها ما قد يدخل فيه، كالكتب السماوية السابقة والأحاديث القدسية وغيرها.

ويرى الشيخ مناع القطان أنّ القرآن الكريم يتعذر تحديده بتعريف منطقي والحدّ الحقيقي له أن يشاهد بالذهن أو الحسّ وكأنه يتبع في ذلك مذهب من أحجم من العلماء عن تعريف القرآن[1].

و قولهم عن القرآن الكريم كلام الله يضفي على النص القرآني خصوصية تفرض على قارئيه والباحثين فيه ضوابط منهجية ومعرفية خاصة.

مفهوم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في اصطلاح الباحثين:

أما تعريف مصطلح "التفسير الموضوعي" بعد أن أصبح علمًا على لون من ألوان التفسير فقد تعددت تعاريف الباحثين المعاصرين له وتباينت بتباين نظرتهم واتجاهاتهم. منها:

- فهو عند الألمعي: "جمع الآيات المتفرقة في سورة القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية"[2].
- وعند الكومي: " إفراد الآيات القرآنية التي تعالج موضوعا واحدا وهدفا واحدا، بالدراسة والتفصيل، بعد ضم بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها، وتعدّدت مواطنها، دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها، والاستعانة بأسباب النزول، والسنة النبوية، وأقوال السلف الصالح المتعلقة بالموضوع[3].

---

(1) ينظر: - القطان: مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، بيروت: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط2000/3م، ص17.

(2) - الألمعي: زاهر بن عواض، دراسات في التفسير الموضوعي للقران الكريم، الرياض: مطابع الفرزدق، ط1985/1م، ص 7.

(3) ينظر:

- محمد السيد الكومي ومحمد أحمد يوسف قاسم. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، القاهرة: طبعة خاصة بالمؤلفين، سنة 1982م، ص7؛

- وذكر مصطفى مسلم عدّة تعاريف واختار منها هذا التعريف: "هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"[1]. وذلك لأنه تعريف تميز بالخلو عن التكرار والإشارة إلى النوعين الرئيسيين للتفسير الموضوعي.
- وعرفه عبد الرحيم عبد الجليل بأنه: "المنهج الذي يتخذه المفسر سبيلا للكشف عن مراد الله من خلال الموضوعات التي يطرحها، والقضايا التي يعالجها، توضيحا لهداية القرآن وتجلية لوجوه إعجازه"[2].
- وهو عند أحمد رحماني "منهج مستحدث في دراسة القرآن الكريم يستهدف سبر أغوار الموضوعات المختلفة من خلال تفسير سورة القرآن باعتباره كلا واحدا يعبر عن موضوع واحد، أو من خلال تفسير آيات جمعت لبناء موضوع تشكل الآيات عناصره الأساسية، والغرض فيهما هو الخروج بتصور سليم حول الموضوع أو نظرية علمية فيه"[3].

الملاحظ على هذه التعاريف وغيرها، فضلا عن تباينها في اللفظ وتداخلها في المعنى وقصورها في بيان المفهوم الشامل والدقيق للتفسير الموضوعي، أنها تترجم عن عدة إشكالات تتعلّق بمصطلح ومفهوم هذا اللّون من التفسير.

فاذا كان المركب الإضافي "تفسير القرآن" يفرز إشكالية تتعلق بمدى حاجة النص القرآني إلى بيان ومدى الطاقة الاستيعابية لدى المتلقي لفهم النص القرآني، فان المركب الوصفي "تفسير موضوعي" يفضي إلى إشكالات أعمق تتعلق بالمفهوم والمصطلح ناهيك عن إشكالات أخرى واقعة تتعلق بمشروعية هذا المنهج في التفسير، ومدى قدرة المفسر على كشف العلاقات والارتباطات بين الآيات والسور، وبين أجزاء الموضوع

- الفرماوي: عبد الحي بن حسين. البداية في التفسير الموضوعي: دراسة منهجية موضوعية، القاهرة: توزيع مكتبة جمهورية مصر، ط2/1977م، ص52.

(1) مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص 16.

(2) - عبدالرحيم: عبد الجليل، التفسير الموضوعي بين كفتي الميزان، رسالة جامعية بجامعة الأردن، سنة 1992م، ص34.

(3) رحماني، أحمد. مصادر التفسير الموضوعي، مصر: دار وهبة، ط1/1998 م، ص 26

الواحد المتناثرة في مواضع متفرقة من القرآن الكريم ومدى إمكانية الوصول إلى الحقيقة القرآنية الشاملة المتكاملة.

التعاريف لم تتفق في ماهية التفسير الموضوعي، فبعضهم يعرفه بأنه منهج وبعضهم يرى أنه علم والبعض الآخر يعرفه بخطواته المنهجية الإجرائية كجمع الآيات في الموضوع.

أدّى ذلك كلّه إلى اضطراب وغموض في المفهوم. وعُدَّ تعريف مصطفى مسلم من أدق وأحسن التعاريف لدى الباحثين، ورأى غيره أنه لا يخلو من الغموض والغرابة والتناقض[1]، ويلاحظ انّه ذكر نوعين للتفسير الموضوعي وأغفل النوع الثالث، وقد ذكره في كتابه في مبحث دراسة المصطلح القرآني[2].

كما أن تلك التعاريف جعلت من الطلاب والدارسين لا يفهمون من التفسير الموضوعي إلّا آلياته فهو في نظرهم أسلوب في التصنيف في التفسير، يعتمد على جمع الآيات في الموضوع وتفسيرها، وهو في حقيقته أبعد وأعمق من ذلك بكثير.

ولو طُرح سؤال على الطلاب: ما معنى التفسير الموضوعي؟ فمن المؤكد أن بعضهم سيجيب بأنه أسلوب في التفسير، وبعضهم بأنه منهج وبعضهم يراه اتجاها في التفسير، وبعضهم سيجيب بأنه جمع للآيات في موضوع ما، ولا يحدد أي موضوع، هل هو موضوع قرآني أم أي موضوع كان ولو كان عن الأطباق الطائرة أو القنبلة الذرية...

كلّ تلك الإجابات المفترضة تترجم حجم الغموض، والمشكلة القائمة بين المصطلح والمفهوم وبين المنهج والطريقة، والمنهج والاتجاه.

ومن التعاريف الجيدة تلك التعاريف التي تسعى إلى بيان المفهوم وتستند أساسا إلى تعريف التفسير أوّلا ثم تضيف إليه ما اختص به التفسير الموضوعي، فلا تقع في الخلط بين المفهوم والمنهج أو بين المنهج والخطوات الإجرائية وتبتعد عن الشرح، فتتسم بالوضوح والدّقة والاختصار. كالتعريف الذي أورده الدغامين نقلا عن عبد الجليل عبد

(1) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية لسامر رشواني، مرجع سابق، ص44.

(2) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص23.

الرحيم قوله: "المنهج الذي يتخذه المفسر سبيلا للكشف عن مراد الله من خلال المواضيع التي يطرحها والقضايا التي يعالجها، توضيحا لهداية القرآن وتجلية لوجوه إعجازه"[1]،.

إن الباحثين اليوم يبذلون من الجهود لتأصيل وضبط مفهوم التفسير الموضوعي ما هو جدير بالتقدير، لكن جدّة الموضوع تتطلّب جهودا أكثر لتنضج هذه الدراسات[2]. فتتضح قواعد وأصول هذا العلم.

أهمية التفسير الموضوعي وما مدى الحاجة إليه:

تظهر أهمية التفسير الموضوعي من خلال تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أعلى وأجلّ أنواع التفسير، فيبيّن كثيرا من مشكل القرآن أو مواطن الخلاف بين علماء الأمة في تفسير آياته، ويبرز وجوها جديدة من إعجاز القرآن الكريم، من خلال الإشارات العلمية في الآيات القرآنية التي استطاع العلم الحديث الوصول إليها كجمع الآيات الواردة في مراحل تطور الجنين وغيرها من الآيات الكريمة في مختلف العلوم كالفلك والطب والفيزياء مما يدلل على كونه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إن الهدف الذي يضعه الباحث نصب عينيه هو استلهام الحلول من القرآن الكريم لمشاكل الأمة وما تعيشه من تحديات. انطلاقا من حقيقة إيمانية اكد عليها النبي صل الله عليه وسلم بقوله: "إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ الله وَسُنَّتِي"، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: "كنا أذل أمة فأعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله. "

ومن المعلوم أن أي أمة تحتاج في نهضتها إلى علوم ومعارف، وهذه المعارف هي قاعدة تشكل المنظومات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. والبحث في القرآن هو بحث في الإنسان والنفس، وبحث في الطبيعة وقوانينها وسننها وبحث في

(1) الدغامين: زياد خليل. تفسير القرآن: إشكالية المفهوم والمنهج، بحث منشور في مجلة المسلم المعاصر، مرجع سابق.

(2) ينظر: – الدقور: سليمان، التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج، مجلة دراسات: علوم الشريعة والقانون، عمان: الجامعة الأردنية، المجلد 41، العدد1، سنة 2014م، ص (114–125).

أصول الاجتماع والاقتصاد والسياسة. وهي علوم لا يمكن استكشافها من القرآن إلا بمنهجية التفسير الموضوعي.

فأي نهضة لا يمكن أن تكون إلا بإرساء المنهجية العلمية في التفكير والبحث، والبحث في القرآن بمنهجية التفسير الموضوعي يحقق ذلك لأنه يرتكز على النظرة الكلية الشاملة ويبتعد عن التجزئة التي تشوه الحقيقة العلمية.

المحاضرة الثانية

نشأة التفسير الموضوعي وتطوره

اذا لم يتفق الباحثون حول مفهوم واضح ودقيق للتفسير الموضوعي، فإنّ الخلاف والتباين سيمتدّ حتما إلى نشأة هذا العلم، وأظنّ أنّ أكثرهم ـحسب ما توفر لدي من معلوماتـ يرون أن هذا اللّون من التفسير زرعت بذوره الأولى وبنيت لبناته الأساسية في عهد النبوة وعلى يد النبي ﷺ، وذلك عند تفسيره للقرآن الكريم بالقرآن نفسه، وسار الصحابة ﷺ من بعده على نفس النهج في تعاملهم مع النص القرآني لدفع أي غموض أو تعارض ظاهري. ثم تطور عند التابعين ومن جاء بعدهم من العلماء إلى أن وصل إلى الصورة التي هو عليها اليوم[1].

أما من خالف هذا الرأي من الباحثين فقد اتجه اتجاها ينفي أي ظهور لهذا النوع من التفسير في زمن الرسالة أو العصور الإسلامية المبكرة، ويقصر نشأته على العصر الحديث. وممن ذهب إلى هذا الرأي أمين الخولي وزوجته عائشة عبد الرحمن وزياد الدغامين وغيرهم[2].

أولا: بذور المنهج الموضوعي في التفسير.

إنّ أولى بذور المنهج الموضوعي في التفسير يظهر جليا في التطبيقات التفسيرية للنبي ﷺ والصحابة ﷺ وفي الكتابات والمصنفات التي ظهرت في العهود المتوالية بعدهم. ويقصد بالبذرة الأولى أو اللبنة الأساسية طريقة في التفكير تعتمد النظر الكلي الشمولي للنص القرآني، وتستند إلى مبدأ واحد هو ضم الآيات بعضها إلى بعض للوصول إلى الحقيقة القرآنية استنادا إلى مبدأ وحدة النص القرآني.

---

(1) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص 17. والتفسير والمفسرون، مرجع سابق، (110/1)

(2) ينظر: - بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، القاهرة: دار المعارف، ط7/[د.ت]، (13/1)؛ التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للدغامين زياد، مرجع سابق، ص27-34.

ومن هذا المنطلق تعدّ بعض الدراسات التأسيسية في علوم القرآن والّتي أفردت موضوعا معينا ذا علاقة بالنّص القرآني مظهرا لتطوّر هذا المفهوم، ومن هذه المصنّفات:

- "الناسخ والمنسوخ" لقتادة بن دعامة (ت118هـ)
- "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)
- "غريب القرآن" للسجستاني (ت330هـ)
- "أمثال القرآن" للماوردي (ت540هـ)
- "جواهر القرآن" للإمام الغزالي (ت505هـ)
- "مجاز القران" للعز بن عبد السلام (ت660هـ)
- "السنة في القرآن" لابن تيمية (ت661هـ)، ولابن قيم الجوزية (ت751هـ)
- "أمثال القرآن" و"أقسام القرآن" وغيرها من المصنفات.

وعدّت الدّراسات اللّغوية المتعلّقة بالقرآن وهي ما عرف عند القدامى بالأشباه والنظائر من لبنات التفسير الموضوعي ومن أقدمها:

- "الأشباه والنظائر في القرآن" لمقاتل بن سليمان البلخي (ت150هـ)
- "التصاريف" ليحي بن سلام (ت200هـ).

ومن الملاحظ أن هذه الدّراسات اللّغوية تعنى بتتبّع اللّفظة القرآنية وبيان معانيها في المواضع التي ذكرت فيها، وهذا التّتبّع اللّغوي يعدّ أحد أدوات منهج التفسير الموضوعي أو لون من ألوانه.

ثانيا: لبنات التفسير الموضوعي.

ومن الدّراسات التي اعتبرت لبنات التفسير الموضوعي من طرف أغلب الباحثين، ما يعرف بتفاسير آيات الأحكام، ومن أقدمها "تفسير الخمسمائة في الأمر والنهي والحلال والحرام" للعالم مقاتل بن سليمان (150هـ) واتبع فيها طريقة الفقهاء في التبويب و"أحكام القرآن" للإمام الشافعي (205هـ)، "أحكام القرآن" للجصاص (ت370هـ) باعتبارها دراسات تتعلّق بموضوع واحد وهو أحكام الفقه في القرآن، وإن بعدت كل

البعد عن منهجية التفسير الموضوعي، إلا إنه وجد من التصانيف الفقهية ما يقترب كثيرا منه، كتصنيف الإمام الطحاوي "أحكام القرآن" وكتابات الشيعة الإمامية، وأقدمها "فقه القرآن" للقطب الراوندي (573هـ) حيث يتم استيعاب الموضوع الفقهي من خلال استقراء الآيات الدالة عليه وضمّ كل باب من أبواب الفقه المعروفة للآيات المتناسبة مع فروع المسائل[1].

ويعدّ ما كتبه الجاحظ (255هـ) عن "النّار في القرآن" و"الحيوان في القرآن" و"الحلال والحرام من الطيبات في القرآن"[2]، من أحسن التأليفات الدّالة على بواكير ظهور مفهوم التفسير الموضوعي، وقد يعود السبب إلى فكره المشبع بالفلسفة المنطقية والّتي مكنته من النظرة الشاملة للقرآن الكريم. يقول الدكتور مصطفى الصاوي الجويني عنه: "ولعلّ الجاحظ حين سلك مسلك مدرسته هذا، ووسع نظرته الشاملة للقرآن متنبه إلى ما ننادي به اليوم من تفسير موضوعي للقرآن"[3].

ويلاحظ بعض بوادر التفسير الموضوعي عند الإمام الغزالي (505هـ) في "جواهر القرآن" حيث اعتمد الانتقاء المنهجي للآيات بعد استخلاص المقصد من القرآن وهو "دعوة العباد إلى الجبار" ثم استخلاص العنصرين القائم عليهما وهما المعرفة والسلوك، فانتقى للعنصر الأول سبعمائة وثلاثا وستين آية وللعنصر الثاني سبعمائة وإحدى وأربعين آية ثم استخلاص ثلاثة أصول لكل مسائل المعرفة وسماها سوابق وثلاثة أصول للسلوك وسماها روادف[4].

ولا يسعني هنا أن لا أذكر الإمام ابن رشد الحفيد (595) ومصنّفه: "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة" حيث ظهر فيه منهج التفسير الموضوعي عند بيانه للطرق التي يستدلّ بها على وجود الله، لقد توصّل باعتماده المنهج الاستقرائي، إلى أنّ الطريق

---

(1) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم، مرجع سابق، (21/1).

(2) هي موضوعات كتبها الجاحظ ضمن مصنفه "الحيوان". ينظر:

- الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت255هـ). الحيوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1424/2هـ، (278/4، 488، 288).

(3) - الجويني: مصطفى الصاوي، مناهج في التفسير، الإسكندرية، القاهرة: منشأة المعارف، [د.ط.ت]، ص 158.

(4) ينظر: - الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ). جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، بيروت: دار إحياء العلوم، ط1986/2م.

الّتي أرشد إليها القرآن، تنحصر في جنسين: أحدهما طريق الوقوف على العناية بالإنسان وسماه دليل العناية، وطريق ما يظهر من اختراع لجواهر الأشياء من الموجودات، وسماه دليل الاختراع، والآيات الدالّة على ذلك تنقسم إلى ثلاثة أنواع: آيات في دليل العناية، وآيات في دليل الاختراع، وآيات تجمع بين الدليلين، ومثل لكلّ نوع بمجموعة من الآيات ليخرج بنتيجة أن استقراء آيات القرآن حاسم لما اختلف فيه أهل الكلام من القضايا[1].

ويلاحظ تطور كبير لمفهوم التفسير الموضوعي في كتاب "السنة في القرآن" لابن تيمية (728هـ) "فقد تجاوز ابن تيمية حدود طريقة تفسير القرآن بالقرآن ليقترب من منهج التفسير الموضوعي بمحاولته الكشف عن مراد الله تعالى في قضية أو مفهوم من المفاهيم القرآنية، وقد ظهر ذلك في مصنفه المذكور سابقا وفي بعض مقالاته المتناثرة في كتبه"[2].

ويعدّ هذا المصنف "السنة في القرآن" من باب التفسير الموضوعي ليس تجوّزا، لأنه احتوى عددا من القواعد التي يستند عليها هذا المنهج، ففضلا عن الاستقراء وتتبع اللّفظة لغويا والتي برزت في المصنّفات الأخرى، اعتماده على النظر الكلّي للآيات التي ذكرت فيها السنن بناء على المشترك المعنوي بين الألفاظ، حيث لم يتقيد بلفظ السنة ومعانيها بل استدعى كل ما يمت بصلة لتلك المعاني، وعمل على استنباط الدّلالات العامّة والاستفادة منها في معالجة بعض المسائل العقدية ليخرج بنظرية "السنن في القرآن دينيات لا طبيعيات"[3]، وصفتها الديمومة وعدم التبدل.

ويرجع تطور مفهوم التفسير الموضوعي عند ابن تيمية إلى نظرته التجديدية لعلوم الدّين ومحاولته إصلاح مفاسد الواقع الذي كان يعيش فيه، وهي نفس الأسباب التي دعت إلى بروز هذا النوع من التّفسير في العصر الحديث[4] ونظرة ابن تيمية الشمولية

---

(1) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، مرجع سابق، ص 98.

(2) المرجع نفسه، ص83 بتصرف.

(3) – ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ)، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط1/2001م ص 54.

(4) منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية لسامر رشواني، مرجع سابق، ص 83-84.

وقدرته التجميعية للمعاني ترتبط أساسا بالتكامل والنسق المعرفي الذي تميّز به منهجه[1].

ويلاحظ نضوج فكرة النظر الشمولي للقرآن الكريم عند الإمام الشاطبي (790هـ)، في كتابه الموافقات في حديثه عن الوحدة الموضوعية للقرآن والكشف عن قواعد منهجية في تفسير القرآن هي نفسها يرتكز عليها ما يعرف اليوم بالتفسير الموضوعي. ويبدو الاعتدال جليا عند الشاطبي في تعامله مع الكلّيات والجزئيات في القرآن الكريم، حيث يقول باستحالة استغناء الجزئيات عن الكليات وبضرورة اعتبار وقصد الجزئيات في إقامة الكليات[2]، وهو بذلك يحمي المنهج الموضوعي من الزلل بسبب الغلو في الاهتمام بالكليات دون اعتبار الجزئيات.

ويظهر بعده الإمام البقاعي (ت 885هـ) ليجلي عن حقيقة المناسبات في القرآن الكريم في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، والإمام السيوطي (911هـ) ومصنّفه: "أسرار ترتيب القرآن".

وتتوالى العصور ولا تنضب قرائح العلماء ولا تجف أقلامهم، حتى في العصور الأضعف نهضة كالقرن العاشر الهجري، ففي هذا العصر ظهر الشيخ سنان الدين الأماسي بمجلد ضخم في بيان المحرّمات في القرآن الكريم وأسماه "تبيين المحارم" جمع فيه الآيات المرتبطة بالموضوع، مفضّلا الحفاظ على ترتيبها في المصحف، مجددّا لمنهج السلف في التعامل مع القرآن الكريم من خلال دعوته إلى الانشغال بمقاصد القرآن في هداية الإنسان وإصلاح حاله. ويتميّز "تبيين المحارم" عمّا سبقه من مصنّفات، أنّه مصنّف في التفسير.

إن تراثنا التفسيري والأصولي والأخلاقي لا يخلو من المصنّفات التي يقرر فيها أصحابها قواعد وأصول منهج التفسير الموضوعي كاستقراء الآيات في الموضوع وتتبع

---

(1) للتوسع ينظر:

- عقيلي إبراهيم، تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1/1994م.
- الدعجاني عبد الله بن نافع، منهج ابن تيمية المعرفي، الخبر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث ط1/2014م.

(2) ينظر: - الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 790هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، القاهرة: دار ابن عفان، (174/3).

اللفظة القرآنية واستخلاص معانيها وحقيقة الوحدة الموضوعية، والّتي هي الأساس الّذي ينطلق منه التفسير الموضوعي فضلا عن استخلاص مقاصد القرآن الكريم.

إنّ أصول منهج التفسير الموضوعي وقواعده الأساسية كوحدة النّص القرآني تجلّت في العديد من المصنّفات التفسيرية التحليلية والأصول، كقولهم: "القرآن كالسورة الواحدة"[1]، أو "القرآن كالآية الواحدة أو الكلمة الواحدة"[2]، ولولا ما أسدوه من جهود في هذا الباب لما تهيأ للباحثين اليوم الإبحار في هذا العلم.

فلا يعدّ هذا النّوع من التفسير بدعا من العلوم وإنّما هو بذرة زرعت وسقيت فنمت وتطوّرت عبر العصور إلى أن برزت ثمارها في القرن الرابع عشر على يد رواد مدرسة المنار.

ثالثا: دور المستشرقين في تطور التفسير الموضوعي.

تقتضي الأمانة العلمية بيان دور المستشرقين في التأسيس للتفسير الموضوعي ومدى تأثر رواد مدرسة المنار بكتاباتهم، فقد برزت إلى الساحة العديد من الدراسات القرآنية التي كتبها مستشرقون، ففي سنة 1845 كان ميلاد أول دراسة قرآنية موضوعية للمستشرق الهولندي فت (1814-1895م)، فقد كتب "محمد والقرآن" في مجلة الدليل

---

(1) ينظر:

- القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت 671هـ). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط2/1964م، (129/20).
- مكي بن أبي طالب: حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه = تفسير مكي ابن أبي طالب، الشارقة: جامعة الشارقة، ط1/2008م، (8365/12):
- الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير= تفسير الرازي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3/1420هـ، (364/9)؛
- ابن عادل: سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي أبو حفص(ت 775هـ). اللباب في علوم الكتاب = تفسير ابن عادل، بيروت: دار الكتب العلمية. ط1/1419هـ/1998م، (533/5).

(2) - الشوكاني: علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت 1250هـ)، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق: دار الكتاب العربي، ط1/1999م،(7/2)؛ وينظر:

- الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 606هـ)، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: الدكتور طه جابر العلواني، بيروت: مؤسسة الرسالة،1997م (146/3).

الهولندية عام 1845م، وكتب المستشرق الفرنسي جوزيف هاليفي (1837-1917م) موضوع "السامريون في القرآن" في المجلة الآسيوية 1908م[1]، وكتب المستشرق الألماني رودي باريت (1901-1983م) بحثا بعنوان: "محمد والقرآن"[2]، وتلتها بعض الدراسات في مجال العقيدة والأديان، كدراسة "إبراهيم في القرآن" للمستشرق الهولندي أرنولد فان جنيب (1873-1957م) ، نشرت في مجلة العالم الإسلامي، سنة 1912م، و"عيسى في القرآن" بحث لأودلف جروهمان (1887-1977م)، نشر في الصحيفة الشرقية لفينا عام 1914م، وغيرها من الدراسات التي تناولت موضوعات قرآنية.

ويظهر لنا من خلال الدراسات الاستشراقية أنّ المستشرقين ركزوا على أمرين: الجمع الموضوعي للآيات والذي لا يمكنهم أن يفهموا القرآن إلا في إطاره، وتاريخية النص القرآني[3] التي اعتمدوا عليها في التمهيد للتشكيك في صلاحية هذا النّص لكلّ زمان ومكان.

إن المستشرقين في تعاملهم مع النص القرآني لا يختلفون فيه عن تعاملهم مع أي نص بشري، حيث يخضعون الاثنين لنفس الدراسة دون الأخذ بالاعتبار خصوصيات هذا النص، وفي هذا المقام يكتفى بتسجيل حضورهم البارز في تطوّر التفسير الموضوعي، وتعاملهم مع القرآن الكريم من خلال موضوعات معينة وإسهام بعضهم في وضع أولى المعاجم الموضوعية للآيات القرآنية[4].

كما تعدّ "موسوعة القرآن" أضخم دراسة استشراقية عالجت الكثير من القضايا في القرآن معالجة موضوعية بدءا بإحصاء الكلمات المفاتيح المتعلقة بالموضوع

---

(1) ينظر: الصغير: محمد حسين علي. المستشرقون والدراسات القرآنية، بيروت : دار المؤرخ العربي، ط1/1999م، ص84.

(2) ينظر:

Mohammed und der Koran، Gescichte und Verkündigung des arabischen Propheten.

هذا العنوان الأصلي للكتاب باللغة الألمانية، ترجمه الدكتور رضوان السيد، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ونشرته دار شرق غرب للنشر سنة 2008م.

وينظر دراسة قام بها الباحث أحمد فتحي عن هذا الكتاب على موقع ألوكة، رابط الموضوع:
http://www.alukah.net/translations/0/28424/#ixzz4eJ1sTqdG

(3) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، مرجع سابق، ص 110.

(4) ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية، مرجع سابق، ص100-101.

واشتقاقاتها واستعمالاتها في القرآن ومن ثمّة يتم تصنيف الآيات المتعلقة بالموضوع بحسب المسائل الفرعية التي تتعرض لها، وقد صدر منها المجلد الأول سنة 2001م[1].

وقد أشار الدكتور مصطفى مسلم في كتابه "مباحث في التفسير الموضوعي" إلى أنّه عند الحديث عن تطور مفهوم التفسير الموضوعي والجهود المبذولة في ذلك، يجدر الحديث عن ما أنتجه المستشرق الفرنسي جول لابوم (1806-1876م)، في هذا الميدان، فذكر كتابه "تفصيل آيات القرآن الكريم" واعتبره خطوة مفيدة للباحث في لمِّ شتات موضوع من الموضوعات القرآنية، وإن شابه بعض القصور[2]، والكتاب ترجمه محمد فؤاد عبد الباقي إلى اللّغة العربية.

ولم يخف عن الباحثين تأثر رائد مدرسة المنار الشيخ محمد عبده بهذا الكتاب ومن قبله الشيخ جمال الدين الأفغاني الذي استحسنه، وأنكر عليه ذلك من طرف بعض مشايخ الأزهر. وأثبت محمد فؤاد عبد الباقي اعتماد الشيخ محمد عبده على هذا الكتاب في دروس التفسير والتي كان يستحضر فيها جمعا من الآيات المتحدة المعنى والغاية بشكل لم يسبقه إليه أحد في زمانه[3]. وسار على نهجه تلميذه محمد رشيد رضا مخضعا المنهج نفسه للاستجابة لحاجات العصر المرتبطة بضرورة المشاركة في نهضة المسلمين الفكرية، بالعودة بهم إلى هدايات القرآن الكريم. وقد ظهر ذلك في تفسيره "المنار" حيث يجمع موضوعات السور وقضاياها الأساسية، ليكشف عن نظرة شمولية للقران الكريم، تتجاوز جزئيات الآية القرآنية.

---

(1) موسوعة القرآن (بالإنجليزية: Encyclopaedia of the Qur'an)، هي موسوعة مكونة من خمسة مجلدات وملحق تحتوي مجموعة من المقالات الأكاديمية باللغة الإنجليزية، التي تهتم بكل المواضيع التي تخص القرآن، تم نشرها بواسطة دار النشر "بريل" (Brill) في هولندا، وأظيف إليها مجلد سادس من تحرير Jane Dammen McAuliffe، General Editor ونشرته Brill، Leiden – Boston سنة 2006. كما لها موقع إلكتروني للبحث المباشر. ينظر:

http://www.brill.com/publications/online-resources/encyclopaedia-quran-online.

(2) مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص 22.

(3) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، مرجع سابق، ص 111؛ وينظر: - لابوم، جول، تفصيل آيات القرآن الكريم، ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1955م، ص 6.

رابعا: المعاصرون والتفسير الموضوعي.

يرى الدكتور رشواني أن أول دعوة صريحة لمنهج التفسير الموضوعي تنظيرا صدرت عن الأستاذ أمين الخولي (ت 1966م)، فهو أول من حدّد الخطوات المنهجية: الإحصاء والاستقراء الشامل، الترتيب الزمني للآيات، معرفة المناسبات المتعلقة بالآية، النظر المتدبر في الآية لاستلهام معانيها[1]. وقد أشارت إلى ذلك زوجته "بنت الشاطئ" في مقدمة كتابها "الإعجاز البياني للقرآن"[2].

أمّا تطبيقا لهذا اللون من التفسير فقد كان الشيخ عبد الوهاب خلاف (ت 1956م) في الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضي سبّاقا في الدعوة إلى وجوب تفسير القرآن من خلال من خلال جمع الآيات الخاصة بكل موضوع ودراستها دراسة منهجية للكشف عن المبادئ القرآنية الكلية في شتى المجالات العقدية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية وإن كان الشيخ منشغلا بالأصول والفقه والقضاء، فقد كان له باع في التفسير حيث ألقى سلسلة محاضرات في التفسير، جمعت في كتاب نور من القرآن الكريم في التفسير[3].

وترى عائشة عبد الرحمان أسبقية زوجها أمين الخولي في التجديد في منهج التفسير مصرحة بأن التفسير على مر العصور بقي أثريا تقليديا إلى أن جاء أستاذها أمين الخولي وخرج بالنص القرآني عن النمط التقليدي على منهج أصله[4].

---

(1) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية لسامر رشواني، مرجع سابق، ص 114.

(2) ينظر: - بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمان. الإعجاز البياني للقرآن الكريم، مصر: دار المعارف، [د.ط.ت]، ص11.

(3) فصل الشيخ عبد الوهاب خلاف هذه الدعوة عند حديثة عن أنواع الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم وقسمها إلى ثلاثة: الأول: أحكام اعتقادية، والثاني: أحكام خُلقية، والثالث: أحكام عملية، وهي المقصودة بالتفصيل والبحث وتفسيرها موضوعيا لأنها تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات. وهذا هو فقه القرآن، وهو المقصود الوصول إليه بعلم أصول الفقه. فأحكام ما عدا العبادات تسمى في الاصطلاح الشرعي أحكام المعاملات، وأما في اصطلاح العصر الحديث، فقد تنوعت أحكام المعاملات بحسب ما تتلعق به، وما يقصد بها مثل أحكام الأحوال الشخصية، وآياتها في القرآن نحو 70 آية. والأحكام المدنية، وآياتها في القرآن نحو 70 آية. وغيرها. انظر: - خلاف: عبد الوهاب (ت 1375هـ). علم أصول الفقه وخلاصة التشريع الإسلامي، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1/1996م، (ص 34-35): وانظر: - الميساوي: محمد الطاهر، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، مجلة التجديد، كوالامبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد29، 1432هـ/2011م، ص 241.

(4) التفسير البياني للقرآن الكريم، مرجع سابق، (13/1)؛ وانظر:

وتظهر معالم المنهج الموضوعي جليا في كتابات أمين الخولي ودروسه في التفسير، ويبرز تسخيره لهذا المنهج في دعم الاتجاه البياني الأدبي في التفسير . وسارت زوجته بنت الشاطئ على نهجه فأخضعت عدة مواضيع أو قضايا للدراسة القرآنية، مثال ذلك "الإنسان في القرآن". ويرى بعض الباحثين أنّ الشيخ محمود شلتوت هو أوّل من دعا صراحة للمنهج الموضوعي في التفسير وجاءت دعوته الصريحة إلى الطريقة التي يراها المثلى في التفسير في كتابه "من هدي القرآن" بقوله: "يعمد المفسر أولا إلى جمع الآيات التي وردت في موضوع واحد، ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيه، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلّى له الحكم ويتبيّن المرمى الّذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع، وبذلك يضع كلّ شيء موضعه ولا يكره آية على معنى لا تريده، كما لا يغفل عن مزية من مزايا الصوغ الإلهي الحكيم، وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريق المثلى خصوصا في التفسير الذي يراد إذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية"[1]. وقدم في ذلك كتابين هما: "القرآن والقتال" و"القرآن والمرأة".

وزاد الإقبال على الدّراسات القرآنية التي تعنى بتفسير القرآن موضوعيا، بازدياد الوعي بحاجة الأمّة الإسلامية في هذا العصر إلى مواجهة التحدّيات التي تفرضها الهجمة الشرسة على الإسلام من ناحية، والرغبة في النهوض بالفكر المسلم من ناحية أخرى. فجاءت الدراسات تعالج واقع المسلمين والقضايا المستجدة من خلال النظر الشمولي المتدبر لآي القرآن الكريم قصد الوصول إلى حقائق قرآنية تتعلق بتلك القضايا، ومن هذه الدراسات يحسن بنا ذكر "دستور الأخلاق في القرآن" للشيخ محمد دراز.

وإن كانت الكثير من الدراسات لم تلتزم منهجية التفسير الموضوعي كما هي عليه اليوم، فإنها تعدّ جهود قيمة في الجانب التطبيقي والّذي انصب عليه اهتمام الدارسين والباحثين قبل التأصيل والتقعيد لهذا المنهج في التفسير.

- نصيرات: جهاد محمد فيصل. التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية، مجلة دراسات: علوم الشريعة والقانون، عمان: الجامعة الأردنية، المجلد 40، عدد 1، 2013، ص 156.

(1) - شلتوت، محمود. من هدي القرآن، القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط1/1968م، ص 23-24.

وفي الجانب التأصيلي لمفهوم التفسير الموضوعي ومناهجه ظهرت العديد من الدراسات قد تكون أولها ما كتبه الدكتور محمد السيد الكومي والدكتور محمد أحمد القاسم "التفسير الموضوعي في القرآن الكريم،" فقد اعتبره الدكتور عبد الستار سعيد الخطوة العلمية الأولى في هذا الباب[1]. إلا أنّه لا يمكننا أن نغفل عن الجهد السابق لمحمود أحمد حجازي في "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم"، وهي رسالة دكتوراه قدمت للمناقشة في الأزهر الشريف سنة 1967م[2]. وإن كان الاتجاه فيها مصوبا نحو إثبات الوحدة الموضوعية، فقد أشار أيضا إلى الخطوات المنهجية وبعض الضوابط دون تفصيل لأنّ غايته كانت التقرير لحقيقة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم[3].

وجاء بعد الكومي الدكتور عبد الحي الفرماوي فكتب "البداية في التفسير الموضوعي" والدكتور عبد الستار سعيد وكتابه "المدخل في التفسير الموضوعي" وبعده الحسيني أبو فرحة وكتابه "الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي"، ثمّ أتحفنا الدكتور مصطفى مسلم بكتابه "مباحث في التفسير الموضوعي"، وقد عدّ مرجعا أساسيا في تدريس مادة التفسير الموضوعي في الجامعات. وتلاه كتاب "دراسات في التفسير الموضوعي للقران الكريم" للدكتور عبد المنعم قصاص، وكتاب "التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان" للدكتور عبد الجليل عبد الرحيم، ولمعت الكثير من الأسماء في التأصيل للتفسير الموضوعي كالدكتور أحمد العمري والدكتور زاهر عواض الألمعي، والدكتور زياد الدغامين وصلاح الخالدي.

ويلحظ بعض الباحثين تطورا لمفهوم التفسير الموضوعي في بداية الثمانينات عند الإمام محمد باقر الصدر وكتابه "مقدمات في التفسير الموضوعي" طبع سنة 1980م، الذي قرر خطوة منهجية أساسية في التفسير الموضوعي، وهي فهم الواقع بالنظر فيه أولا، لتحديد القضايا الجديرة بالدراسة، ثم النظر في القرآن لاستخلاص نظريته في

---

(1) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي لفتح الله سعيد، مرجع سابق، ص 7.

(2) وقد طبعت الأطروحة بنفس العنوان: – حجازي: محمد محمود. الوحدة الموضوعية في القرآن، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط1/1970م.

(3) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية لسامر رشواني، ص 124 و125.

القضية المدروسة ثم الرجوع إلى الواقع للمقارنة بين الاثنين لإبراز كمال القرآن وإعجازه[1]. وسار على نهجه العديد من الباحثين كزياد الدغامين وعبد الباسط الرضي.

ومن الإسهامات بغير اللغة العربية والجديرة بالذكر ما قدّمه المفكّر الباكستاني فضل الرّحمان في كتابيه: *islam and midernity* "الإسلام والحداثة" الصادر عام 1982م، و"*Major Themes of The Qur'an* " "الموضوعات الكبرى في القرآن" الصادر سنة 1989م باللغة الإنجليزية. ففي الكتاب الأول بعد حديثه عن الإصلاح الاجتماعي وقف وقفة طويلة في التنظير لمنهجية التفسير الموضوعي حيث أضاف للمنهج ما سماه بالحركة المزدوجة، كآلية مهمة في التفسير الموضوعي بها يجمع المفسر بين استيعاب الظروف التاريخية لعصر التنزيل لاستجلاء منهج القرآن في معالجته لذلك الواقع وبين التبصر بالواقع السائد للوصول إلى احسن السبل لتنزيل هدي القرآن عليه. أمّا الكتاب الثاني فقد كان صورة تطبيقية للمنهج المقترح في التفسير وهو استجلاء مبادئ القرآن وقيمه ونسقه الكلي في معالجة قضايا العقيدة والإنسان والتاريخ[2].

ومن الإسهامات في مجال التنظير للتفسير الموضوعي، ما كتبه التيجاني عبد القادر حامد من مقالات علمية طرح فيها مسائل مهمة في منهجية التفسير الموضوعي كمعايير اختيار الموضوع وكيفية تشكيل الرؤية الكلية القرآنية للموضوع وإشكالية التحليل الدلالي للألفاظ وبناء المفاهيم[3].

ومن كتاباته التطبيقية القيمة "أصول الفكر السياسي في القرآن المكي"[4] رسالة ماجستير سنة 1984.

---

(1) ينظر: – باقر الصدر: محمد. مقدمات في التفسير الموضوعي، بيروت: دار التوجيه الإسلامي، [د.ط.ت]، ص20.

(2) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية للميساوي، مرجع سابق، ص240.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص241.

(4) ينظر: – حامد: التيجانى عبد القادر. أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1/1995م.

وللدكتور حسن الترابي دعوة للنظرة الكلية في التعامل مع النص القرآني في اطار ما سماه بالمنهج التوحيدي في تفسير القرآن الكريم. وقد وضح منهجه في مقدمة مصنفه في التفسير الذي عنونه "التفسير التوحيدي" وقد طبع منه جزآن[1].

لا يمكنني أن الـمّ بجميع الإسهامات في مجال التفسير الموضوعي تطبيقا أو تنظيرا، وأظن فيما ذكرته كفاية في بيان مدى الجهد المبذول.

إن هذا العلم نتاج مجموعة من العلوم كعلم تفسير القرآن بالقرآن والوحدة الموضوعية والتناسب في القرآن وعلم المقاصد القرآنية، وكلها علوم كانت معلومة عند السلف وان لم يسموها بأسمائها. لقد مرّ هذا العلم كغيره من العلوم بمراحل عدة قبل أن ينضج وتتضح أصوله وقواعده وتكتمل مناهجه، وأولى مراحله لما كان كغيره من العلوم معروفا عند السلف دون أن يحددوه، علم يستعان به على فهم كتاب الله، يستقونه ممّا حباهم الله به من أدوات: لسان عربي فصيح ورجاحة عقل وهدي القرآن والنبوة.

(1) ينظر: - الترابي: حسن. التفسير التوحيدي، بيروت: دار الساقي، ط2004/1م.

المحاضرة الثالثة

منهج التفسير الموضوعي وعلاقته ببقية مناهج التفسير

أولا: تعريف كلمة منهج:

المعالم المنهجية للتفسير الموضوعي:

1. تحديد الهدف العام: وهو الوصول الى تصور قراني شمولي، متكامل حول القضية المطروحة للدراسة.
2. تحديد الوسائل والآليات أي الاستقراء التام والدقيق لحدود الموضوع القرآني وروابطه وعلاقاته في القران، وربط عناصر الموضوع وفق هيكلة قرآنية تقتضيها طبيعة الموضوع، حيث تكون الآيات ودلالاتها الموجه الرئيسي في وضع خطة البحث وليس أفكار الباحث وثقافته وقناعاته الفكرية بحيث يخضع الآيات لها.
3. تحديد الأساسيات (الضوابط)

الضوابط العامة المتعلقة بالتفسير:

الضوابط العامة المتعلقة بالتفسير عموما وهي:

- التقيد التام بصحيح المأثور في التفسير.
- مراعاة خصائص القرآن الكريم: ذلك لأن القرآن الكريم هو كلام الله -سبحانه وتعالى- نزل بلسان عربي مبين، فاجتمع له من الخصائص ما لا يجتمع لأي كلام آخر في أي لسان؛ فهو كلام معجز، تحدى الله تعالى به الإنس والجن، والعرب خاصة، بلفظه وبنظمه وبمضامينه ومعانيه، فهو من جهة قائم على أتم الحقائق والإحاطة بالأشياء، وتمام الصدق والعدل كما

قال ربنا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام:11).

ضوابط خاصة متعلقة بالتفسير الموضوعي:

1. الالتزام التام بعناصر القرآن: فيجب على الباحث في التفسير الموضوعي أن يلتزم بالعناصر التي استخرجها من النظر في الآيات الكريمة، ولا يصح أن يضيف عنصرًا للموضوع من أي مصدر غير القرآن الكريم، لا السنة النبوية أو اللغة أو ما تقتضيه القسمة العقلية. . . ونحو ذلك والباحث يأتي بالحديث النبوي شارحًا ومبينًا للنص القرآني، ولا يصح أن يأتي به ليكون منشئًا لعنصر من عناصر الموضوع القرآني؛ لذلك لا نصنف عناصر الموضوع من حديث نبوي –ما دمنا في إطار الموضوع القرآني وفي مجال التفسير الموضوعي لهذه العناصر بذاتها
2. استيعاب حقيقة الوحدة الموضوعية أو البنائية للقران الكريم،فيسلم الباحث من الفهم المتجزئ، باعتماده الرؤيا الصحيحة التي تؤمن بوجود ارتباط عام بين النصوص القرآنية.
3. تتبع الدوائر السياقية واعتماد دلالاتها في التفسير، فتفسير الآية بعيدا عن السياق يوقع الباحث في أخطاء ويشوه معاني القران، ولكل سياق دوائر خمسة:دائرة الجملة، الآية، المقطع، السورة، فدائرة سياق القران كله وهو أوسع الدوائر.
4. اعتماد البعد المقاصدي للخطاب القرآني: إبراز مقاصد القران ودلالات الآيات في الأنفس والآفاق وإسقاط ذلك على الواقع المعيش تعد من اهم ما يجب على الباحث القيام به، والدراسات القرآنية ذات الأبعاد المقاصدية هي الدراسات الكفيلة بعرض معاني القران الكريم كروح تسري في جميع مجالات الحياة.

ثانيا: علاقة التفسير الموضوعي بمناهج التفسير الأخرى:

إن الدعوة إلى تفسير القرآن بمنهجية التفسير الموضوعي قد يرى فيها بعض الدارسين أنها دعوة للتفلت من مناهج القرآن التي اتبعها السلف من العلماء وتلقتها الأمة بالقبول إلا أن الحقيقة أن هذا النوع من التفسير لا يختلف عن غيره من أنواع التفسير في الأصول والقواعد المنهجية وإنما يبرز الاختلاف في الطريقة والأسلوب وقد تنوعت كتب التراث من حيث طريقة التفسير الى ثلاثة طرق:

اعتماد طريقة التحليل أو المقارنة أو الإجمال، فوجد التفسير التحليلي والإجمالي والمقارن.

التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي:

يقصد بالتفسير التحليلي ذلك النوع من التفاسير التي اتبع فيها مؤلفوها تفسير آي القرآن من أوله الى آخره حسب ترتيبها في المصحف مع تفكيك للكلام ببيان معاني كل لفظة وأقوال العلماء فيها واللغة وأسباب النزول والقراءات والأحكام، وهو ما عليه كل كتب التراث المعروفة كالطبري والرازي والبغوي وغيرهم والكثير من كتب التفسير المعاصرة اختارت هذا الأسلوب في التفسير كتفسير المنار والتحرير والتنوير.

وفي تلك المؤلفات يلاحظ على المفسر أنه يلتزم بمواضع الآيات، لا يقدم فيها ولا يؤخر فيختلف بذلك اختلافا ظاهرا عن التفسير الموضوعي الذي لا يتقيد فيه المفسر بمواضع الآيات وإنما يقدم ويؤخر منها ما يشاء حسب ما يخدم موضوعه.

التفسير الموضوعي والتفسير الإجمالي:

في التفسير الإجمالي يعمد المفسر الى الآية مبينا المعنى العام منها دون أن يتوسع في ذكر أقوال المفسرين ووجوه القراءات والإعراب وأسباب النزول وغير ذلك مما يذكر في التفسير التحليلي إلا ما دعت إليه الحاجة فيذكره باختصار، ومثال ذلك تفسير الجلالين وتفسي السعدي.

التفسير الموضوعي والتفسير المقارن:

التفسير المقارن هو ذلك النوع من التفسير الذي ينتهج فيه المفسر ذكر أقوال المفسرين في معني الألفاظ القرآنية في مواضعها

و هذا التركيز على ذكر جميع الأقوال التفسيرية قد ينعدم في التفسير الموضوعي إلا إذا كان ذلك يخدم ما يصبو إليه المفسر من الجمع بين الأقوال

ثالثا: مصادر التفسير الموضوعي:

أهم مصدر للتفسير الموضوعي هو القرآن الكريم، لأنه يرتكز أساسا على تفسير القرآن بالقرآن، ثم تليه كل كتب التفسير بالمأثور أو بالرأي التي تزخر بها المكتبة التراثية، ثم المعاجم والفهارس المرتبطة بألفاظ أو موضوعات القرآن الكريم، ثم تأتي المراجع الحديثة المرتبطة بتأصيل هذا العلم أو بتطبيقه ومنها:

- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**
- **المعجم المفهرس لموضوعات القران الكريم**
- **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**: طبع هذا الكتاب سنة 1972، وقد حاول محمد محمود حجازي الرد فيه على المستشرقين الذين ذهبوا إلى نفي الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وهو هنا يختلف عن التفسير الموضوعي اختلافا بينا. ورغم ذلك فالعمل الذي قام به حجازي يعتبر خطوة أولية في بناء صرح هذا المنهج.
- **بدايات التفسير الموضوعي**: هذه الدراسة كتبها عبد الحق الفرماوي، وصدرت في طبعتين، والطبعة الأخيرة كانت سنة 1677، وقد اعتمد صاحب هذه الدراسة على مؤلفات سابقة منها: التفسير الموضوعي لأحمد السيد الكومي، والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم لمحمد محمود حجازي وغيرها من المراجع..

- **المدخل إلى التفسير الموضوعي**: هذا الكتاب لعبد الستار فتح الله سعيد، صدر عن دار التوزيع والنشر الإسلامية على طبعتين، الأولى سنة1426 هـ/ 1636م، والثانية سنة 1411هـ/1661م.
- **مباحث في التفسير الموضوعي**: ذا الكتاب لمصطفى مسلم، كانت طبعته الأولى سنة 1412 هـ/ 1636 م عن دار القلم.
- **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**: هذه الدراسة لصلاح عبد الفتاح الخالدي، طبع الكتاب سنة 1413هـ/ 1667 م عن دار النفائس.
- **التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا**: هذا الكتاب لأحمد رحماني، كانت أول طبعة له سنة1663م، من منشورات جامعة باتنة، تطرق فيه تنظيرا وتطبيقا لنوعين من التفسير الموضوعي، الموضوع والسورة.
- **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**: هذا الكتاب لزياد خليل الدماغين، طبعته الأولى كانت سنة 1423 هـ/2227 م عن دار عمار –
- **محاضرات في التفسير الموضوعي**: هذا الكتاب لعباس عوض الله عباس، صدر عن دار الفكر، في طبعته الأولى سنة 1423 هـ قسمه المؤلف إلى محاضرات
- **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية**: هذا الكتاب لسامر عبد الرحمن شواني، صدر في طبعته الأولى سنة 1432هـ/2006م، عن دار الملتقي.

المحاضرة الرابعة

أنواع التفسير الموضوعي وخطوات البحث فيه

أولا: أنواع التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي ثلاثة أنواع عند أغلب الباحثين والمنظرين لهذا الفن، وعند بعضهم[1] نوع واحد وهو الموضوع القرآني أو نوعان فقط وهو الموضوع القرآني والسورة القرآنية[2]، بحيث لم يعدوا دراسة اللفظ القرآني نوعا من التفسير الموضوعي وإنما آلية من آلياته، والأنواع الثلاثة هي : التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، والتفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

النوع الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

عرف المصطلح القرآني بأنه "كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، مفردا كان أو مركبا، اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية جعلت منه تعبيرا عن مفهوم معين له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي"[3]. والكشف عن مفهوم المصطلح بتتبعه في آيات القرآن كله يعد اليوم درسا تفسيرا يندرج بشكل من الإشكال ضمن الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم.

---

(1) ينظر:

- السماحي: الشيخ محمد محمد، "مذكرات في التفسير الموضوعي لطلبة الدراسات العليا". كلية أصول الدين، الأزهر الشريف، درست هذه الكراسة في فترة الستينات من القرن الماضي، ص39.
- الأبطحي: محمد باقر الموحد، المدخل إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ط1/1969م، ص5.
- عباس: فضل حسن، التفسير: أساسياته واتجاهاته. عمان: مكتبة دنديس، ط1/2005م، ص 646-647.

(2) ينظر: الكومي محمد السيد الكومي ومحمد أحمد يوسف قاسم. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، القاهرة: طبعة خاصة بالمؤلفين، سنة 1982م، ص7.

(3) البوشيخي: الشاهد. القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، فاس: مطبعة ألفو برانت، ص 20.

أكثر الباحثين اهتماما بهذا النوع من التفسير الأستاذ مصطفى مسلم وصلاح الخالدي إلا أننا لا نجد عندهما تعريفا دقيقا للمصطلح القرآني وإنما بيانا لخطواته، فهو عند مصطفى مسلم "أن يتتبع لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها"[1].

ويعد الأستاذ الشاهد البوشيخي من رواد الدراسة المصطلحية وإليه يعود الفضل في تأصيل هذا النوع من الدراسات وتقعيد قواعدها، وهو يرى ضرورتها لان المعرفة القرآنية لا تتحصل إلا بتحصيل مصطلحاتها التي تختزل داخلها المفاهيم القرآنية[2].

والمدرسة المصطلحية المغربية أعطت تعريفا دقيقا للمصطلح القرآني، فعرفت الدكتورة فريدة زمرد الدراسة المصطلحية "تلك الدراسة المنهجية الجامعة التي تبين مفاهيم المصطلحات من نصوصها، وتبين المقومات الدلالية الذاتية للمصطلح عبر ضمائمه واشتقاقاته والقضايا الموصولة به"[3].

والغرض من هذا الدرس التفسيري هو الكشف عن أساليب القرآن الكريم في استعمال المصطلح ودلالاته اللغوية والشرعية والقضايا المرتبطة بها والمتباينة بتباين السياق القرآني . فمثلا كلمات: النصر، الصلاة، الجهاد، النفاق، الصبر، الزكاة، نجدها تأخذ وجوهًا في الاستعمال والدلالة في القرآن الكريم. نستطيع من خلال دراستها أن نجمع النسق القرآني للمفاهيم التي توصلنا إلى الفهم الصحيح للإسلام.

---

(1) مسلم: مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق: دار القلم، ط1/1989م، ص 23.

(2) الشاهد بن محمد البوشيخي، ولد سنة 1945م بالحريشة، من المغرب، أستاذ محاضر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ومدير معهد الدراسات المصطلحية بفاس، ورئيس وحدة القرآن والحديث بالدراسات العليا بجامعة محمد بن عبد الله بفاس. له مؤلفات ومقالات قيمة في مجال علم المصطلح والدراسات القرنية منها: نظرات في المصطلح والمنهج، نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، القرآن الكريم طبيعته ووظيفته، وغيرها ...

(3) فريدة زمرد، مفهوم التأويل في القرآن الكريم الحديث الشريف، معهد الدراسات المصطلحية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

النوع الثاني: التفسير الموضوعي للسورة.

إن التمعن في نظم السورة القرآنية يكشف مدى التناسب بين اسمها ومحورها وبين مطلعها وختامها، ناهيك عن التناسب بين آياتها ورغم تعدد مواضيعها يظهر للمتمعن أنها تنصهر في بوتقة موضوع واحد وهو «إن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهي تكوّن قضية واحدة تهدف إلى غرض واحد وتسعى لإتمامه وإن اشتملت على عديد من المعاني"[1].

وقال الخالدي منبها إلى الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية: "يختار الباحث سورة وينظر فيها نظرة موضوعية متدبرة ويقف مع آياتها وقفة مطولة ويتعرف على موضوع السورة ومقاصدها وأهدافها وعلى الخطوط الرئيسية التي تجمع مختلف موضوعاتها الفرعية ويخرج من ذلك تحليل موضوعي موسع تبدو معه السورة وحدة موضوعية متناسقة"[2].

والغرض من هذا النظر في السورة القرآنية بمنهجية التفسير الموضوعي هو استلهام مقاصدها الأساسية والوصول الى رؤية كلية للقضية المحورية التي تعالجها.

وقد أبدع في هذا اللون من التفسير الشيخ محمد عبد الله دراز لما امتاز به من رؤية تحليلية تركيبية تكاملية كانت ثمرة حسن توظيفه لثقافته الغربية إلى جانب ثقافته الإسلامية المعمقة وكتابه النبأ العظيم خير شاهد على إبداعه.

النوع الثالث: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

يعد هذا اللون من التفسير الموضوعي أكثر دلالة على المفهوم الجوهري للتفسير الموضوعي، وأكثر الباحثين في الدراسات القرآنية يتجهون نحو دراسة مواضيع قرآنية دراسة تفسيرية لغزارة هذه المواضيع وإعجاز القرآن في تناولها ومن جانب آخر تجدد القضايا والمشكلات التي تحتاج الأمة إلى بحثها في ضوء هدي القرآن الكريم.

---

(1) الشاطبي، الموافقات، مصدر سابق، (414/3).

(2) الخالدي: صلاح عبد الفتاح. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، عمان: دار النفائس، ط3/ 2013م، ص 64.

يعمد الباحث إلى تحديد موضوع يلحظ تعرض القرآن الكريم له في عدة مواضع وبأساليب مختلفة، ويرى في تفسيره ضرورة شرعية وواقعية، لحاجة الأمة إلى بيانه، فيعمد إلى الخروج بنظرية تساعد في حل إشكالات أو قضايا معينة. يقول صلاح الخالدي: "يختار الباحث الموضوع الذي له أبعاد وافية إصلاحية أو مجالات علمية تصورية أو آفاق تربوية مسلكية وللمسلمين المعاصرين حاجات ماسة إليها"[1].

يتتبع الباحث الموضوع من خلال سور القرآن الكريم، ويستخرج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها وتفسيرها والغوص في دلالاتها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة، مع ربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم ومحاولة حلها.

والقرآن الكريم إنما أنزل لهداية الناس وإصلاح معاشهم ومعادهم، لذلك ارتبطت مواضيعه بحياة الناس في جميع جوانبها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ومثال ذلك: الإنسان في القران، اليهود في القرآن، مقومات النصر في القرآن، القيم الاجتماعية في القرآن...

والقرآن الكريم وإن أنزل منجما حسب الأحداث والوقائع إلا أنه يمتاز بوحدة موضوعية ربطت بين آياته وسوره وأجزائه وأحزابه فهو كالجملة الواحدة قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: 1) قال العلواني: "لأن القرآن بناء محكم واحد ونظم منفرد واحد تسري فيه كله روح واحدة"[2].

ولا يمكن للمتدبر في آياته أن يستلهم هداياته في جميع جوانب حياته إلا إذا نظر فيه على أنه بناء واحد والحقيقة فيه واحدة لا تتجزأ.

ثانيا: خطوات البحث في أنواع التفسير الموضوعي.

ينحصر عمل الدارس للمصطلح القرآني في المراحل التالية وقد كان للدكتور الشاهد بوشيخي السبق والباع في صياغة المنهج[3]:

---

(1) الخالدي، التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص62.

(2) العلواني: طه جابر. الوحدة البنائية للقرآن المجيد، القاهرة: دار الشروق الدولية، ط2006/1م، ص 18.

(3) ينظر: البوشيخي: الشاهد. نظرات في المصطلح والمنهج، فاس: : مطبعة ألفو برانت، ط20/4د.ت، ص9.

أ- مرحلة الاستقراء: وهي تشمل:

- إحصاء المصطلح كيفما ورد شكلاً وحجماً واشتقاقاً. فمثلا لفظة النفس في القرآن باستقرائها تتجمع لدينا آيات تتضمن كلمة النفس هي نفسها توصلنا إلى المفاهيم التي تشترك مع النفس في الحقل المفهومي الذي نريد الوصول إليه.
- إحصاء القضايا العامة المندرجة تحت مفهومه.

ب- مرحلة الدراسة المعجمية؛ والغاية منها ما يلي:

- الوقوف على المعنى العام للجذور اللغوية للمصطلح.
- الوقوف على المعاني الخاصة لمشتقات هذا الجذر وذلك بالاعتماد على أمهات المعاجم.
- الوقوف على التطور الدلالي للفظ وتمييز المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي والحقيقي عن المجازي.

ج- مرحلة الدراسة النصية: وهي المرحلة الحاسمة في البحث، تقوم على ضبط مفهوم المصطلح وذلك بعد تتبع دلالاته الجزئية في كل نص عن طريق التحليل لاستخراج المعلومات المصطلحية.

د- الدراسة المفهومية ويقصد بها دراسة النتائج أي المعاني المستخلصة وتصنيفها تصنيفا يخدم إجلاء المفهوم بحيث يعطي تصورا كليا شاملا لمفهوم المصطلح تنكشف معه كل السمات والخصائص الدلالية والارتباطات بالمرادفات والأضداد والضمائم التي تحدد بناءه الداخلي وامتداده الخارجي[1].

هـ- مرحلة العرض المصطلحي وهي المرحلة الأخيرة والتي بعرض فيها ما توصل إليه من نتائج وفق خطة محددة العناصر تشمل التعاريف اللغوية والمفاهيم الاصطلاحية والعلاقات والإضافات والضمائم وأخيرا القضايا المرتبطة بالمصطلح.

أما الدارس للسورة القرآنية فعليه باتباع هذه الخطوات:

(1) ينظر: المرجع نفسه.

1- التعريف بالسورة فيذكر اسمها أو ما ثبت من أسماء لها وزمن نزولها وسبب النزول إن وجد ولا يغفل عن ذكر فضائلها مستندا في ذلك كله إلى ما ثبت من صحيح الروايات.

2- اكتشاف محور السورة، يقول سيد قطب رحمه الله في هذا الباب: "... إن لكل سورة من سوره -القرآن- شخصية مميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها بتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو ولها إيقاع خاص إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة، وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً ..." [1].

ويستعين الباحث باسم السورة للوصول الى محورها الأساسي لوجود ارتباط بين الاسم والموضوعات المتفرقة في السورة وبين الموضوعات فيما بينها والمحور وهو الموضوع العام الذي تندرج تحته جميع الموضوعات. يقول الإمام البقاعي في هذا الباب: "اسم كل سورة مترجِم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمَّاه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه"[2].

ثم يطبق البقاعي هذه القاعدة على أسماء سورة الفاتحة فيقول: "فالفاتحة اسمها: أم الكتاب، والأساس، والمثاني، والكنز، والشافية، والكافية، والوافية، والواقية، والرقية، والحمد، والشكر، والدعاء، والصلاة. فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد وهو: المراقبة التي سأقول إنها مقصودها، فكل شيء لا يفتتح بها لا اعتداد به"[3].

---

(1) سيد: قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385هـ). في ظلال القرآن، بيروت / القاهرة: دار الشروق، ط17/ 1412 هـ، (1/27- 28).

(2) البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت 885هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور = تفسير البقاعي، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، [د.ط.ت]، (1/ 18-19).

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، (1/ 19-20).

وقد يسهل على الباحث اكتشاف محور السورة وذلك من خلال النظر في مطلعها وختامها كسورة القيامة استفتحت بذكر القيامة واختممت بتذكيره ببداية خلقته.

ويبين الدكتور مصطفى مسلم كيف يمكننا الربط بين عدة سور وأسمائها كسورة البقرة مثلا فيقول: "سميت باسم حادثة بقرة بني إسرائيل. ولقد ذكر أكثر من عشر خوارق في هذه السورة من ضمنها أكثر من خمس خوارق فيها إحياء الموتى ولم تسمّ السورة بواحدة من تلك، وإنما **سميت بحادثة البقرة في بني إسرائيل!!**"[1].

ويسرد مصطفى مسلم عدة أمور ذات علاقة بذبح البقرة كموقف بني إسرائيل من الغيب والإيمان بالوحي ومن الأنبياء والالتزام بالشرائع والتكاليف وتلك المحاورة بينهم وبين موسى عليه السلام كشفت مواقفهم تلك فتجلت طباعهم السيئة التي جعلتهم غير مهيئين لحمل رسالة الاستخلاف في الأرض. قال: "وإذا علمنا أن الحديث عن بني إسرائيل ومواقفهم من أنبيائهم وتعنتهم في تطبيق الشرائع وترددهم في الالتزام بها، حيث اضطروا إليها اضطراراً تحت الوعيد بإنزال الجبل عليهم، قد استغرق هذا الحديث عنهم أكثر من ثمانين آية. مما كشف سوءاتهم وأبرز دخائل نفوسهم للناس كل ذلك ليبين للعالم أنهم بهذه الصفات فقدوا مقومات القوامة على دين الله وشرائعه.

وبما أن دين الله وشرائعه يحتاج إلى أمة أمينة تلتزم بهدايات دين الله وتطبقه، في واقع حياتها وتحمله إلى الناس دعوة عالمية تضحي في سبيله بكل ما تملك، فلا بد من أمة أمينة تملك مقومات القوامة، فجاءت آيات سورة البقرة بعد ذلك لتشير إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورسولها الذي كان دعوة أبيه إبراهيم ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: 129].

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

---

(1) مسلم: مصطفى. خطوات تفسير سورة تفسيرا موضوعيا، مقال منشور على موقع ألوكة الإلكتروني، بتاريخ 2016/10/31 ميلادي الموافق لـ 1438/1/29 هجري. ينظر الرابط التالي:
https://www.alukah.net/sharia/0/108960/#ixzz65T3a7CBX

وتتوالى آيات التشريع لبناء هذه الأمة بناء ربانياً لتقوم بدور القوامة على دين الله بعد أن سلبت من بني إسرائيل لذلك نستطيع أن نقول: إن محور سورة البقرة "القوامة على دين الله"[1].

3- الكشف عن مختلف المناسبات التي تربط بين آيات السورة وبين مطلعا وختامها ومقاطعها ليخرج بنظرة كلية تعين على الفهم الصحيح لمراد الله تعالى يقول الإمام الشاطبي منبها لهذا المنهج السليم في النظر لآي الكتاب الحكيم: "فإن القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرّق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض إلا في موطن واحد؛ وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه"[2].

4- بيان مقاطع السورة المحددة لموضوعاتها وتفسير كل مقطع تفسيرا إجماليا دون إخلال بالمعاني ويحتاج الباحث هنا إلى الرجوع الى كتب التفسير التحليلي ليتمكن من الإحاطة بمعاني الآيات.

5- استنباط الهدايات القرآنية والربط بينها وبين الواقع المعيش.

أما فيما يتعلق بالموضوع القرآني، فقد اتفق الدارسون لهذا النوع من التفسير على جملة من الخطوات نعددها على النحو التالي[3]:

1- اختيار موضوعا تناوله القرآن الكريم يكون ذا صلة بالواقع الذي يعيشه وبحاجات المجتمع الإنساني وقضاياه في مختلف الجوانب الحياتية.

2- جمع الآيات القرآنية التي تبحث هذا الموضوع، أو تشير إلى جانب من جوانبه.

---

(1) ينظر: المرجع نفسه.

(2) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 790هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، القاهرة: دار ابن عفان، ط1/1997م، (4/ 266).

(3) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي لفتح الله سعيد، مرجع سابق، ص 56-66.

3- ترتيب هذه الآيات حسب زمن النزول، أي المكي والمدني فلكل مرحلة طبيعتها ومعالمها.

4- دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي والتعرف على أسباب نزولها إن وجدت، وإلى دلالات الألفاظ واستعمالاتها، والروابط بين الألفاظ في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في المجموعة التي تتحدث عن الموضوع.

5- بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يحاول الباحث أن يستنبط العناصر الأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية التي أحاط بها أو استنبطها من الآيات المتعلقة بالموضوع، وللباحث أن يقدم بعض العناصر الرئيسية على غيرها، إن وجد أن طبيعة البحث تقتضي ذلك أو أن تسلسل الأفكار المنطقي يلزم هذا التقديم أو التأخير.

6- ثم يلجأ الباحث إلى طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار في بحثه ويحاول أن لا يقتصر على دلالة الألفاظ اللغوية وإنما يستشف الهدايات القرآنية من خلال النصوص، كما يستدل على ما أشارت إليه الآيات الكريمة بالأحاديث النبوية الشريفة ويدعم كل ذلك بفهم الصحابة رضوان الله عليهم لنصوص آي الذكر الحكيم. ويوجه ويعلل ويشرح ويناقش في ضوء التوجيهات القرآنية، وإن وجد ما يوهم التناقض بين بعض الآيات التي تناولت الموضوع فلا بد من إزالة هذا الوهم، وإبراز الحكمة الإلهية في وجود مثل هذه النصوص.

7- لا بد للباحث من الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع، وقد يفرض الموضوع طبيعة المنهج والخطة التي سيجري البحث من خلالها. فإن كان الموضوع متشعب المباحث والمجالات لا بد عندئذ من وضع تمهيد بين الباحث فيه منهجه في تناول الموضوع.

ثم يقسم الموضوع إلى أبواب ويضع تحت كل باب فصولًا وتحت كل فصل مباحث فيجعل العنصر الأساسي الجامع عنوانًا للباب ثم يجعل العنصر الفرعي عنوانًا للفصل، ثم يجعل الجزئيات الصغيرة عناوين للمباحث.

أما إذا كان الموضوع محدد المعالم والآفاق واضح المجالات قليل العناصر، فلا بأس من بحثه عندئذ على شكل مقاله علمية تتكون من مقدمة وصلب الموضوع وخاتمة، يتناول في كل ذلك القضية المطروحة بأسلوب علمي رصين موثق بالأدلة والشواهد، وبدون خلاصة ما توصل إليه في الخاتمة بشكل موجز.

المحاضرة الخامسة

نماذج تطبيقية في التفسير الموضوعي

مصطلح "الظلم" في القرآن الكريم

أولا: تعريف الظلم لغة واصطلاحا.

تعريف الظلم لغة:

قال ابن فارس: "الظاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدّيًا"[1]. والمقصود بالبحث الأصل الثاني، وهو وضع الشيء في غير موضعه، ولهذا تقول العرب في المثل الشائع في ما ذكره الميداني: "من أشبه أباه فما ظلم"[2]، أي ما وضع الشبه في غير موضعه، وفي المثل: "من استرعى الذئب فقد ظلم"[3]، يضرب لمن يولّى غير الأمين.

والمصدر الحقيقي لكلمة الظلم: الظَلَمُ بالفتح، وبالضمِّ: الاسم يقوم مقام المصدر، قال الكفوي: "والمصدر الحقيقي لـ(ظلم) هو الظلم بالفتح كما في (القاموس)، ويفهم منه أن الظلم بالضم في الأصل اسم منه، وإن شاع استعماله في موضع المصدر"[4]، أما بالنسبة لأصل الكلمة في اللغة فجاء عن ابن منظورأن أصل الظلم الجور ومجاوزة الحد ومنه الحديث الشريف: «**فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم**»[5]، أي: أساء

---

(1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، مجلد 3، ص 468.

(2) الميداني أبو الفضل أحمد: مجمع الأمثال، قدم له وعلّق عليه: نعيم حسين زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية ط1/1408هـ-1988م، ج5، ص 355.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص356.

(4) الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى. الكليات، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1/1992م، ص594.

(5) رواه أبو داوود، في سننه، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء ثلاثا ثلاثا، برقم 116، انظر أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني. كتاب السنن، والنسائي في سننه، فبلفظ: "... قَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ"، كتاب: الطهارة، باب: الاعتداء في الوضوء، رقم 140.

الأدب بتركه السنة والتأدب بأدب الشرع، وظلم نفسه بما نقصها من الثواب[1].

قال الزبيدي: "نقل شيخنا عن بعض أئمة الاشتقاق أنّ الظلم في أصل اللغة هو النقص"[2].

وقد ورد لفظ الظلم ومشتقاته في اللغة على معان عدة منها:

وضع الشيء في غير موضعه وهو المعنى الأكثر تداولا عند العرب حيث كانوا يسمون كل عسف ظلماً، نقله ابن دريد ومنه يقال: "وظلمتُ السِّقاءَ أظلِمه ظُلْماً، إذا شربت ما فيه قبل أن يروب[3]. وظلم الأرض إذا حفرها في غير موضعها وظلم الناقة إذا نحرها من غير سبب يوجب نحرها[4].

- النقص: قال ابن منظور: "وقوله عز وجل: ﴿آتَتْ أُكُلَها ولم تَظْلِم مِنْه شَيْئاً﴾ (الكهف:33) أي لم تَنْقُصْ منه شيئاً، وقال الفراء في قوله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة:57)، قال: ما نَقَصُونا شَيْئاً بما فعلوا ولكن نَقَصُوا أنفسَهم"[5]. وقال العسكري: "أصل الظلم نقصان الحق..."[6].
- الميل عن القصد والعدول عن الشيء، ومنه قول العرب: "ألزم هذا الصوب ولا تظلم عنه، أي لا تجر عنه"[7].
- أخذ حق الغير: قال الفراهيدي: "والظلم أخذك حق غيرك"[8].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صابر، ط1996/3م، مادة ظلم، ج 12، ص373.

(2) الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى. تاج العروس، بيروت: دار الفكر، ط1414/1هـ/ 1994م، مج17، ص 442.

(3) ابن دريد، أبو بكر محمد بن حسين، جمهرة اللغة، حيدر آباد، جمهرة اللغة، دار المعارف العثمانية، ط1345/1هـ، ج3، ص124.

(4) انظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، دار الهلال، [د.ت]، ج8، ص163.

(5) لسان العرب، مصدر سابق، ج12، ص375.

(6) العسكري، أبو هلال: الفروق في اللغة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1400/4هـ-1980م، ص226.

(7) لسان العرب، مرجع سابق،ج15، ص 373.

(8) الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، ج8، ص163.

- المنع: ومنه قول العرب: "ما ظلمك أن تفعل: ما منعك"[1].

وجمع الراغب الأصفهاني بعض تلك المعاني في تعريفه فجاء تعريفًا جامعًا، حيث قال: "والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إمّا بنقصان أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه"[2].

أما مشتقات كلمة الظلم فقد وردت في المعاجم اللغوية على النحو التالي:

أ- التظلم: وهو التشكي من الظلم، يقال: "تظلم منه أي اشتكى ظلمه"[3]، ويطلق أيضا على الظلم في المال حيث يقال: تظلمه فلان أي ظلمه ماله، قال الجوهري: "تظلمني فلان أي ظلمني مالي"[4].

ب- الانظلام: وهو قبول الظلم مع القدرة على الامتناع منه، فيقال: انظلم الرجل، "إذا احْتَمَلَهُ بطيب نفسهِ، وهو قادر على الامتناع منه"[5].

ج- تظالم القوم إذا ظلم بعضهم بعضاً[6].

د- والظَّلمةُ: المانعون أهل الحقوق حقوقهم[7].

هـ- والظلامةُ والظليمة والمظلمة: "ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك"[8]. والظَّالم من صدر منه الظلم، والمظلوم من وقع عليه الظلم والظِّليمُ بالتشديد: الكثير الظلمِ[9].

---

(1) الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1419/1هـ-1988م، ص1134.

(2) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق/بيروت: دار القلم/الدار الشامية، ط1997/2م ص 537.

(3) الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار الملايين ط1956/4م، 1977/5. وانظر: تاج العروس، مرجع سابق، ج8، ص383.

(4) المصدر نفسه، مج5، ص1977.

(5) تاج العروس، مرجع سابق، 383/8.

(6) انظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص378.

(7) تاج العروس، مصدر سابق، 386/8.

(8) الصحاح، مصدر سابق، 1977/5.

(9) المصدر نفسه، 1978/5.

تعريف الظلم في الاصطلاح الشرعي:

لا تبتعد أقوال العلماء في تعاريفهم الاصطلاحية لكلمة الظلم عن معناها اللغوي، قال الراغب في كتابه (الذريعة): "الظلم هو الانحراف عن العدل"[1]. وعرّفه الجرجاني بقوله: "وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور"[2].

وقال الكفوي: "وضع الشيء في غير موضعه، والتّصرف في حق الغير، ومجاوزة حدّ الشارع"[3].

أمّا ابن الجوزي فعرفه بقوله: "الظلم التصرّف في ما لا يملَكُ فيه"[4]. وذكر ابن رجب الحنبلي في كتابه "جامع العلوم والحكم: "وأما من فسره بالتصرف في ملك الغير بغير إذنه وقد نقل نحوه عن أنه نقل نحوه عن إياس بن معاوية وغيره"[5]، وردّ ابن تيمية هذا التعريف بقوله: "فهذا ليس بمطرد ولا منعكس، فقد يتصرف الإنسان في ملك غيره بحق ولا يكون ظالماً، وقد يتصرف في ملكه بغير حق فيكون ظالماً"[6].

وقال الجاحظ: "الجور (الظلم) هو الخروج عن الاعتدال في جميع الأمور، والصرف والتقصير، وأخذ الأموال من غير وجهها، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق، وفعل الأشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها، ولا على القدر الذي يجب ولا على الوجه الذي يُحب"[7].

وحصر ابن حجر العسقلاني الظلم في ما كان تجاوزا للحدود الشرعية بقوله:

---

(1) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، المنصورة: دار الوفاء، ط2/1987م، ص357.

(2) الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص 144.

(3) الكفوي، الكليات، مرجع سابق، ص595.

(4) ابن الجوزي، عبد الرحمن: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2/1985م، ص426.

(5) الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب. جامع العلوم والحكم، بيروت: دار ابن حزم، ط2/2003م، ص274.

(6) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، بيروت: دار المعارف، [د.ت]، ج18، ص145.

(7) الجاحظ: عمرو بن بحر. تهذيب الأخلاق، القاهرة: دار الصحابة للتراث، د.ت، ص 34.

"والظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي"[1].

وعرفه الراغب تعريفاً دقيقاً جامعاً مانعاً؛ بقوله: "والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، والظلم في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يقل وفيما يكثر من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير"[2]. ويدل على كلام الراغب ما ورد في القرآن الكريم من آيات تسند الظلم إلى الكفار وأخرى تسنده للعصاة من المسلمين كما وردت آيات سمت بعض ما صدر عن بعض الأنبياء ظلماً بقوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء:87)، وفي سورة القصص وعلى لسان موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص:16). ومن المعلوم أن الأنبياء معصومون عن المعصية، ولكن ما صدر عن بعضهم من اجتهاد وصف بالظلم لأنه من قبيل ترك الأولى[3]، كما قال النيسابوري، أو العمل بالمفضول مع وجود الأفضل، وسمي القرآن الكريم ذنب آدم وحواء ظلماً وإن كان ذنبهما صغيراً ومغفوراً.[4] وكذلك فعل الإمام العيني، حيث قال: "الظلم أصله الجور وتجاوزه الحد ومعناه الشرعي وضع الشيء في غير موضعه الشرعي"[5].

يستنتج من هذه التعاريف أنّ الظلم في الاصطلاح لا يخرج عن معناه اللغوي، وهذا ما أشار إليه الراغب في تعريفه ولكن ذلك فيما يتعلق بأصل الكلمة في اللغة لأن مفهوم الظلم في الشرع يتقيد بالمعايير الشرعية.

---

(1) العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي. فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، ط1/ 1379هـ، ج5، ص95.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ص 315.

(3) النيسابوري: محمود بن أبى الحسن. إيجاز البيان في معاني القرآن = تفسير النيسابوري، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1/ 1415 هـ، ج1، ص322.

(4) تفسير النيسابوري، مصدر سابق، ج1، ص 322.

(5) العيني، بدر الدين أبو محمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية د.ت، ج12، ص283.

يظهر من التعاريف الاصطلاحية للظلم أنه لا يخرج في الاصطلاح الشرعي عن معناه اللغوي، غير أنه في الشرع يأخذ معنى خاصاً وهو تجاوز حدود الشريعة الإسلامية، سواء كان هذا التجاوز صغيراً أم كبيراً، وبالتالي يأخذ مفهوماً شاملاً يستوعب اقتراف الذنوب صغيرها وكبيرها، وسواء كانت في حق الله تعالى أم حق من حقوق عباده، وبهذا المفهوم تتحدد معايير الظلم التي من خلالها يُحكم على سلوك معين بأنه ظلم، ويوصف فاعله بالظالم ومن وقع عليه بالمظلوم.

ثانيا: معاني الظلم ودرجاته في القرآن.

أوجه ذكر كلمة الظلم في القرآن:

وبعد ذكر ما ورد في المعاجم من تعريف كلمة الظلم وما يدل على التوافق الموجود بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي للكلمة؛ لابد من تتبع معنى هذا المفهوم من خلال استعمالاته القرآنية، وذلك قصد إظهار المعاني التي دارت عليها كلمة الظلم في النصوص القرآنية باعتبارها مفردة من مفردات القرآن الكريم. فقد وردت كلمة "ظلم" بمشتقاتها في القرآن على عدّة أوجهٍ، إضافة إلى الأوجه المستفادة من مرادفات للكلمة، وقد ذكر ابن الجوزي ستة منها[1]:

أحدها: الظلم بعينه، ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾ (النساء:10)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ (الشورى: 42)، وقوله أيضًا: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت:46). ويقصد بـ"الظلم بعينه" ظلم الغير بهضم حق من حقوقهم.

وثانيها: الشرك، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:82)، قال ابن قتيبة: يعني: بشرك[2]، قال الرازي: المراد من الظلم الشرك، لقوله تعالى حكاية عن لقمان إذ قال لابنه: ﴿يا بُنَي لاَ تُشْرِكْ بالله إِنَّ

(1) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص197.

(2) انظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر، بيروت: المكتبة العلمية، ط1981/3م، ص468. وانظر أيضا: تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 11، ص492؛ تفسير الألوسي، مصدر سابق، ج 5، ص407.

الشرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 13)[1]، ففي الصحيحين عن ابن مسعود أنّه لمّا أنزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شقّ ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال النبي: «**إنّما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إنّ الشرك لظلم عظيم**»[2]. والصحابة الذين شقّ ذلك عليهم ظنوا أنّ الظلم المقصود هو ظلم العبد نفسه، وأنّه لا يكون له الأمن والاهتداء بذلك فبيّن لهم النبيﷺ ما دلّ على أنّ الظلم المقصود هو الشرك بالله مستدلاً بقوله تعالى إنّ الشرك لظلم عظيم، فاتّضح لهم أنّ الأمن والاهتداء لا يحصل إلاّ للذي لم يلبس إيمانه بالشرك والذي هو أعظم الظلم.

وثالثها: النَقْص ومنه قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ (الكهف:33)، أي "لم تنقص منه شيئا"[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: 40) بمعنى ينتقص، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ (مريم:60)، قال النسفي: "أي لا يُنْقَصون شيئًا من جزاء أعمالهم بل يُضاعف لهم"[4].

رابعها: الجَحْدْ: وذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف:9) أي يجحدون بها، قال ابن قتيبة: "ويكون الظلم الجحد قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ (الإسراء: 59)، أي جحدوا بأنها من الله تعالى"[5].

خامسها: السرقة: في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ (المائدة: 39)

---

(1) الرازي: محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين أبو عبد الله، مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج 6، ص357.

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه تحت رقم: (3295)، انظر: البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا بيروت: دار ابن كثير، ط3/ 1407 – 1987، والإمام مسلم في صحيحه تحت رقم: (286)، ج117/2.

(3) أثير الدين، ابن حبان الأندلسي: لمعة الأديب لما في القرآن من الغريب، تحقيق: سمير طه المجذوب، بيروت: المكتب الإسلامي، ط1988/2م، ص217.

(4) النسفي: عبدالله بن أحمد بن محمود. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت: دار العلم الطيب، ط1، 1419هـ-1998م، ج2، ص 343.

(5) تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص468.

قال الزمخشري: "يعني من بعد سرقته"[1]، وكذلك في سورة يوسف قوله تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (يوسف:75) أي السارقين أو السرَّاق[2].

سادسها: الإضرار بالنفس، منه قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة: 57)؛ أي يضرّون أنفسهم، "أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال: يضرّون[3]، وذكر الدمغاني ثلاثة وجوه[4]؛ أولها: فعل الذنب دون الشرك، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الطلاق:1)، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة:229) أي ظالمون بمخالفة أحكامه التي شرعها لمصلحة العباد، وقوله تعالى:﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:35). ثانيهما: القتل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾ (الإسراء:33)، أي المقتول ظلمه القاتل. ثالثها: الجور؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران:182).

وجاء الظلم بمعنى الكُفْرِ في قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: 254)، قال البغوي: "لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها"[5]. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً﴾ (الكهف:87)، قال صاحب البحر المحيط[6]: "ولما خيره الله تعالى بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فقال: فأما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم وهو الكفر هنا بلا خلاف فذلك هو المعذب في الدارين"[7].

وجاء أيضاً هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ

---

(1) الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ، 1998م، ج2، ص234.

(2) تفسير النسفي، مصدر سابق، ج2، ص126.

(3) الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج1، ص197.

(4) الدمغاني، الحسن بن محمد: إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبد العزير سيد الأهل، بيروت: دار العلم للملايين، ط5/1985م، ص308.

(5) البغوي، معالم التنزيل، بيروت: دار بن حزم، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص157.

(7) الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ/2001م، ج6، ص 152.

وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (لأعراف:103) "فظلموا بها" بمعنى كفروا بها والكفر بآيات الله وضع لها في غير موضعها وصرف لها إلى غير وجهها الذي غيبت به"[1].

وجاء بمعنى النفاقِ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ (النساء: 64) فقد جاء الظلم في هذه الآية في سياق الحديث عن المنافقين[2]. وكذلك في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:109)، فالظالمون هنا المنافقون.

ومفردة الظلم إذا أطلقت في القرآن الكريم يقصد بها الكفر وجميع الذنوب[3]، الكبائر والصغائر، ومنه قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات:22، 23)، فقد تناولت الآية الكفار[4] كما دلّ عليه السياق، وقد جاء في أقوال المفسرين إنه يدخل فيها العصاة، وكل يحشر مع نظيره؛ الزناة مع أهل الزنا، وأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الربا مع أهل الربا وهكذا... [5].

وهناك مفردات في القرآن الكريم تحمل معنى الظلم، وهي:

الطغيان: وهو مجاوزة الحد في الظلم[6]. ومنه قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه:24)، أي: عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد[7].

الجور: وهو خلاف الاستقامة في الحكم، ومنه قوله تعالى:)وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) (النحل:9)، ويرى كثيرون أن الجور والظلم سواء

(1) جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق ج9، ص9، طبعة دار المعرفة.

(2) انظر الآيات: 60 إلى الآية 65 من سورة النساء.

(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: كتاب الإيمان، بيروت: المكتب الإسلامي، [د. ط]، سنة 1406هـ/1986م. ص59.

(4) تفسير النسفي، مصدر سابق، ج3، ص120.

(5) انظر: تفسير الألوسي، مصدر سابق، ج12، ص 78.

(6) الكليات، مصدر سابق، ص 354.

(7) تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج11، ص175؛ فتح القدير، مصدر سابق، ج 3، ص 518 .

إلا أن الكفوي فرّق بينهما؛ فاعتبر أن الظلم ضرر من حاكم أو غيره "والجور خلاف الاستقامة في الحكم"[1].

العدوان: وهو تجاوز من جهة الإفراط، والفرق بينه وبين الظلم أن العدوان هو الظلم الصراح[2]. وقد نهى الله تعالى عنه في قوله سبحانه: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:2)، وقوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء:166)، أي متجاوزون الحد في الظلم[3]. ومنه العداء، وهو تجاوز الحد والظلم كما جاء في الصحاح[4].

العتو: ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً﴾ (الفرقان:21)، قال الشنقيطي "أي: تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان يقال: عتا علينا فلان: أي تجاوز الحد في ظلمنا"[5]، وفرّق أبو هلال العسكري بين العتو والطغيان فقال: "هو المبالغة في المكروه فهو دون الطغيان"[6]. ونقل القرطبي عن مقاتل قوله: العتو أشد الكفر وأفحش الظلم"[7].

البخس: وهو التجاوز من جهة التفريط، قال قتادة الزجاج: "بخس أي ظلم"[8]، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ (يوسف:20). وجاء في القاموس المحيط أن البخس هو "النقص والظلم"[9].

البغي: وهو نوع من الظلم، قال أبو حيان: "والبغي بغير حق هو نوع من أنواع الظلم"[10]، وقال الرازي: "والبغي لا يستعمل إلا في الإقدام على الغير نفسا أو مالا أو عرضاً"[11]. وقد

---

(1) الكليات، مصدر سابق، ص 354.

(2) الجوهري، الصحاح، ج6، ص4121.

(3) البحر المحيط، مصدر سابق، ج8، ص425.

(4) الصحاح، مرجع سابق، ص 2419.

(5) الشنقيطي: محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1423هـ/2003م، ج6، ص159.

(6) العسكري، الفروق في اللغة، مصدر سابق، ص 324.

(7) القرطبي، تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج13، ص19.

(8) معاني القرآن الكريم، مصدر سابق، ج3، ص407.

(9) القاموس المحيط، مصدر سابق، ج2، ص 68.

(10) البحر المحيط، مصدر سابق، ج9 ص485.

(11) تفسير الرازي، مصدر سابق، ج14، ص234.

حرم الله تعالى البغي وقرنه مع الإثم والفواحش فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف:33) ونهى عنه في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:90)، والحالة الوحيد التي أبيح فيها البغي هو عندما يكون دفاعا عن النفس وردا للعدوان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى:39).

الباطل: وقد ذكره ابن الجوزي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:188). والباطل عند أهل اللغة: "ضد الحق"[1]، وذكر الرازي في تفسير الباطل وجهين: "الأول أنه اسم لكل ما لا يحل في الشرع كالربا، والثاني ما أخذ من الإنسان بغير عوض"[2].

الرهق: الظلم ومنه قوله تعالى: ﴿فَلا يَخَافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً﴾ (الجن: 13)، قال الرازي: "البخس النقص، والرهق الظلم"[3].

الشطط: في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً﴾ (الجن: 4)، قال النسفي: "والشطط: مجاوزة الحد في الظلم وغيره"[4].

الجنف: أصل الجنف ميل في الحكم[5] وقد يختص بالوصية[6] ولم يرد في القرآن الكريم إلا في موضعين: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً﴾ (البقرة: 182) وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ﴾ (المائدة: 3).

وقد بيّن الراغب وجه الارتباط بين كلمة الظلم وبعض تلك المفردات مؤكدا على أن كلمة الظلم أعم وأشمل فقال: "الظلم هو الانحراف عن العدل، ولذلك حدّ بأنه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به، وقد يسمّى هذا الانحراف جوراً، ولما

---

(1) الصحاح في اللغة، مصدر سابق، ج 1، ص46؛ القاموس المحيط، مصدر سابق، ج 3، ص56؛ مختار الصحاح، مصدر سابق، ج 1، ص30.

(2) تفسير الرازي، مصدر سابق، ج 10، ص 58.

(3) تفسير الرازي، مصدر سابق، ج30، ص671.

(4) تفسير النسفي، مصدر سابق، ج 3، ص474.

(5) المفردات، مصدر سابق، ص207.

(6) انظر: ابن أثير الدين المبارك: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي بيروت: دار الفكر، بدون طبعة أو تاريخ، ج1، ص307.

كانت العدالة تجري مجرى النقطة من الدائرة فإن تجاوزها من جهة الإفراط عدوان وطغيان والانحراف عنها في بعض جوانبها جور وظلم، والظلم أعم هذه الألفاظ استعمالاً.." [1].

ثالثا: ألفاظ مقترنة بالظلم في القرآن.

اقترنت كلمة الظلم في القرآن الكريم بخمس مفردات أساسية هي: العدوان، الهضم، الزور العلو، والإلحاد. وإن كانت هذه المفردات تتفق والظلم في المعنى اللغوي، فإن ذكرها مع الظلم في نفس الآيات يعطيها دلالة إضافية، إذ لا تكرار في القرآن بدون غرض شرعي، أو زيادة بيان.

وقد جاء الجمع بين هذه المفردات وبين كلمة الظلم في مواضع خمسة من القرآن الكريم هي:

1. **العدوان في قوله تعالى**: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ (النساء:30) في سياق النهي عن أكل الأموال بالباطل في الآية 29 من نفس السورة التي يقول الله تعالى فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾، والعدوان "لغة تجاوز الحد المأمور به شرعاً، ومن معاني الظلم تجاوز الحد"[2]، وزاد الرازي فقال: "لابد من التفريق بين الظلم والعدوان دفعا للتكرير فيحمل الظلم على ما إذا كان قصده التعدي على تكاليف الله ولا شك من كان كذلك كان كافراً"[3]. وهذا يتناسب مع الوعيد بإصلائه جهنم، ويمكن القول: إن ذكر الظلم بعد العدوان هو إشارة إلى أن القتل الذي يستوجب العقوبة هو الذي يقع فيه العدوان مع الظلم فقد يكون القتل عدوانا ولا يكون ظلما... [4].

---

(1) الذريعة إلى مكارم الشريعة، مصدر سابق، ص 375.

(2) الكليات، مصدر سابق، ص584.

(3) تفسير الرازي، مصدر سابق، ج15، ص 75.

(4) الجزائري، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1423هـ-2002م، ص255.

2. **اقترن الظلم بالزور** في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ (الفرقان:4)، وصف الله تعالى كلام الكفار بأنه ظلم وزور، فكونه ظلم "فلأنهم نسبوا هذا الفعل القبيح إلى من كان مبرأ عنه، فقد وضعوا الشيء في غير موضعه، وذلك هو الظلم، وأما الزور فلأنهم كذبوا فيه"[1]، وقد يكون الزور في نسبهم القبيح إلى من هو بريء منه، والظلم في جعل القرآن المعجز الهادي إلى الخير إفك مختلق"[2]. وقول الزور صورة من صور الظلم الذي يصدر عن المشركين اتجاه أصحاب الحق من الأنبياء والدعاة إلى الحق. والكذب صورة من صور قول الزور وسماه الله تعالى زوراً لعظم قبحه وميله عن الحق، قال أبو السعود: "أي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا إليه عليه الصلاة والسلام ما هو بريء منه"[3].

3. **اقتران الظلم بهضم الحق** قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ (طه:112) جاء في تفسير الرازي ذكر لوجوه الجمع بين الظلم والهضم في هذه الآية فقال: "وقال أبو مسلم الظلم أن ينقص من هذه الثواب، والهضم أن لا يوفي حقه من الإعظام لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا إلا إذا قارنه التعظيم وقد يدخل النقص في بعض الثواب، ويدخل فيما يقارنه من التعظيم فنفى الله تعالى عن المؤمنين الأمرين"[4]. رغم أنهم آنذاك أي يوم الجزاء يدركون أنهم لم يوفوا المقام حقه لأنهم لا يستطيعون ذلك[5]، وإدراكهم لهذا يشعرهم بالخوف من الإنقاص وهو الهضم فنفى الله عز وجل الأمرين الظلم والهضم زيادة للمؤمن في الإحساس بالأمان وفي هذا كله إشارة إلى الفضل الإلهي العظيم. وقال الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان): "وفرّق بعض أهل العلم بين الظلم والهضم بأن الظلم المنع من الحق كله،

---

(1) تفسير الرازي، مصدر سابق، ج24، ص 439.

(2) أيسر التفاسير، مرجع سابق، ص1018.

(3) تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج5، ص48.

(4) تفسير الرازي، مصدر سابق، ج22، ص103.

(5) انظر: البقاعي: برهان الدين، إبراهيم بن عمر بن حسن. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ- 2003م، ج 5، ص270.

والهضم النقص والمنع من بعض الحق، فكل هضم ظلم، ولا ينعكس"[1].

4. **العلو**: في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل:14)، قال الطاهر بن عاشور "فالظلم في الجحد بها والعلوّ في كونهم موقنين بها"[2]. وقال البيضاوي: "﴿ظُلْماً﴾ لأنفسهم. ﴿وَعُلُوّاً﴾ ترفعاً عن الإيمان"[3]. ويمكن القول بأن سبب الجحود هو العلو، والعلو سبب للظلم[4].

5. **الإلحاد**: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج:25)، قال الرازي في اقتران الإلحاد بالظلم: "لما كان الإلحاد بمعنى الميل من أمر إلى أمر بيّن الله تعالى أن المراد بهذا الإلحاد ما يكون ميلا إلى الظلم، فلهذا قرن الظلم بالإلحاد لأنه لا معصية كبرت أم صغرت إلا وهو ظلم"[5].

رابعا: أساليب ذكر الظلم في القرآن الكريم.

إنّ اهتمام القرآن الكريم بموضوع الظلم يتجلّى في تعدّد أساليب عرضه وتنوّع مواضع ذكره، ولقد كان لهذا التنوع الأثر الكبير في المفهوم الشمولي للظلم وفي تنوّع وسائل معالجته.

ذكرت كلمة الظلم بمشتقاتها في مائة وتسعين موضعًا من القرآن الكريم[6] بأساليب

---

(1) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1423هـ-2003م، ج4، ص69.

(2) ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون د. ت. ج 10، ص 253.

(3) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، سنة: 1424هـ/ 2003م، ج4، ص260.

(4) انظر: الجزائري، أبو بكر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1/1423هـ/2002م، 1073.

(5) تفسير الرازي، مصدر سابق، ج23، ص222.

(6) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريمﷺ، إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن ملوح، جدة: دار الوسيلة، ط1/1418هـ/1998م، ص4871.

متنوعة وسياقات مختلفة، وفضلاً عن الآيات التي ذُكر فيها العدل الذي هو خلاف الظلم.

وباستقراء النصوص القرآنية والربط بينها يمكن حصر تلك الأساليب في ثلاثة:

- نفي الظلم عن الله تبارك وتعالى وإثباته في حق الإنسان.
- النهي عن الظلم والأمر بضده ويُلحق به بيان عاقبة الظالمين والدعوة إلى الاعتبار بذلك.
- ذمّ الظالمين ونفي محبة الله وهدايته لهم، وإثبات محبته للمقسطين.

خامسا: نفي الظلم عن نفسه تبارك وتعالى وإثباته في حق الإنسان.

1. العدل حقيقة ربانية:

نفى الله سبحانه وتعالى الظلم عن نفسه من أربع جهات:

أ- من جهة صدوره عنه، قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: 46)، وقال أيضًا: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ (الكهف: 49).

ب- استحالة وقوع ظلم عباده عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (لأعراف: 160).

ج- نفي إرادته سبحانه للظلم، قال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 108)، وقوله:﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾ (غافر: 31).

د- نفي خوف العباد له بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ (طه:112).

وتعددت الآيات التي ينزّه الله فيها نفسه عن الظلم من جميع الجهات، وجاء هذا التنزيه في سياقات مختلفة؛ إحداها ذكر إنزال العقوبة على الأمم الظالمة، وثانيها ذكر الجزاء على العمل، أي ثواب المحسن وعقاب المسيء، وثالثها في سياق استكبار الكفار، وعدم اهتدائهم بالهدى، ورابعها في سياق بيان بطلان أعمال الكفار، ونفصل ذلك فيما يلي:.

أ- السياق الأول: إنزال العقوبات على الأمم الظالمة:

ومثاله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (التوبة:70)، فقد جاء نفي الظلم عن الله تعالى في سياق الكلام عن المنافقين وفضح صفاتهم الدنيئة التي هي أمر بعضهم لبعض ونهيهم عن المعروف والشح عن الإنفاق في سبيل الله ونسيان الله أي ترك ما أمرهم به مع بيان مآل هؤلاء المنافقين الفاسقين من العذاب الأبدي في نار جهنّم، وفي هذا يماثلون من سبقهم من الكفار إلاّ أنّ هؤلاء كانوا أكثر مالاً وقوة ولم يعجزوا الله حيث أخذهم أخذ عزيز مقتدر، وبعد المماثلة والمقارنة يأتي السؤال التقريري ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (التوبة:70)، مع إعطاء شواهد حقيقية عن أمم ظالمة سمعوا بها، والمقصود بالنبأ "خبرهم الذي له شأن، وهو ما فعلوه وفُعل بهم، ولمّا شبّه حاله بحالهم فيما سلف من الأعمال في المشبّه بهم ذكر منهم ههنا ست طوائفٍ قد سمع العرب أخبارهم، لأنّ بلادهم وهي الشام قريبة من بلاد الغرب، فالاستفهام للتقرير"[1].

وقد أكّد الله سبحانه وتعالى على إنذار هذه الأمم بإرسال الرسل إليهم، حيث أقام عليهم الحجّة واستحقوا بذلك عقابه الدنيوي والأخروي لأنّهم كذّبوا رسلهم، وعاندوهم واستكبروا على الحق وبالتالي انتفى ظلم الله لهم "فما كان الله ليظلمهم"، قال الشوكاني -رحمه الله-: "والفاء في فما كان الله ليظلمهم للعطف على مقدّر يدلّ عليه الكلام: أي فكذّبوهم فأهلكهم الله فما ظلمهم بذلك، لأنّه قد بعث إليهم رسله فأنذروهم وحذّروهم[2].

وإنّ انتفاء ظلم الله في معاقبة عباده الظالمين مرتبط بإقامته الحجّة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وقد بيّن ذلك في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً﴾ (القصص: 28)، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 108).

---

(1) فتح القدير، مصدر سابق، ج2، ص540.

(2) المصدر نفسه.

ونمضي مع القرآن الكريم في أسلوب نفي الظلم عن الله - تبارك وتعالى – فنقرأ الآية الأربعين من سورة العنكبوت: ﴿فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون﴾، جاءت الآية مبيّنة لأنواعٍ من العقاب الذي حلّ بتلك الأمم المكذّبة لرسلها، فقد عذّب قوم نوحٍ بالإغراق، وقوم ثمودٍ بالصيحة وقوم لوطٍ بما أمطر عليهم من الحجارة، وبيّن تعالى في مواضع أخرى من القرآن الكريم أنّه أهلك قوم عاد بالريح وقوم إبراهيم بالبعوض، وقوم شعيب وهم أصحاب مدين بالرجفة.

وجاءت الآية 118 من سورة النحل ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل:118) مبيّنة العقاب الذي أنزله الله باليهود وتمثّل هذا العقاب في تحريم طيّبات عليهم دون غيرهم نصّ عليها قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام:146)، واستحقوا لافترائهم على الله الكذب بالتحليل والتحريم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾، أي: "حيث فعلوا أسباب ذلك فحرّمنا عليهم تلك الأشياء عقوبة لهم"[1]. وسبب تشريع هذه العقوبة العادلة ظلمهم لأنفسهم بالإسراف؛ كالرجل الذي أسرف على نفسه في تناول المحرمات كالخمر فمنع عليه الطبيب أشياء هي بالطبع حلال عليه، فإسراف الإنسان على نفسه يؤدي إلى منع طيبات عنه[2]، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾ (النساء:160). وتقديم "السبب على المسبب في هذه الآية تنبيهاً على فحش الظلم وتحذيرا منه"[3].

ب- السياق الثاني: الجزاء على العمل:

ذكر الجزاء على العمل سواء كان إثابة للمحسن أو وعقاباً للمسيء، ومثال ذلك في

---

(1) فتح القدير، مصدر سابق، ج2، ص278.

(2) انظر: الشعراوي: محمد متولي، مكارم الأخلاق، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، طبعة 1423هـ، (348/1).

(3) البحر المحيط، مصدر سابق، ج3، ص411.

القرآن كثير، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يّس:54)، وقال أيضًا: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء:47)، وقال في آية أخرى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام:160). وقررت الآية الأولى أنّ كل إنسان يجازى حسب عمله. فمن عمل صالحًا استحق الثواب والنعيم الذي وعد به الله عباده الصالحين الواقفين عند حدوده، المقيمين عدله وشرعه، ومن عمل طالحًا استحق العقاب والعذاب الأليم، الذي توعّد الله به عباده المفسدين الظالمين.

ثم بيّن -تعالى- أنّ هذا الجزاء غير مرتبط بالعمل إن كان كبيرًا أو صغيرًا حيث يجازى عليه، ولو كان بوزن حبة الخردل.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء:47)، أي لا ينقص من إحسان محسنٍ ولا يُزاد في إساءةِ مسيء، قال الشوكاني في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾، "وقال أبو علي الفارسي: وإن كانت الظلامة مثقال حبة"، وقال الواحدي: وهذا أحسن لتقدم قوله تعالى: ﴿فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾، ومثقال الشيء ميزانه: أيّ وإن كان في غاية الخفة والحقارة، فإنّ حبة الخردل مثلٌ في الصغر"[1]. لذلك حذرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من المظالم صغيرها وكبيرها، وأرشدنا إلى استحلالها من صاحبها قبل يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون من طريق أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كانت لهُ مَظلمةٌ لأخيهِ مِن عِرضِه أو شيءٍ فليَتحلَّلْهُ منهُ اليومَ قبلَ أن لا يكونَ دينارٌ ولا دِرهمٌ، إن كانَ لهُ عملٌ صالِحٌ أُخِذَ منهُ بقدْرِ مَظلمتِه، وإن لم تكنْ لهُ حَسناتٌ أُخِذَ من سيِّئات صاحبِه فحُمِلَ عليه»[2].

(1) فتح القدير، مرجع السابق، ج3، ص561.

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته، رقم: (2317)، انظر: الجامع الصحيح المختصر، مصدر سابق، ج2، ص865؛ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم: (3712)، انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، ج1، ص 391.

ج- السياق الثالث: قبول أعمال المؤمنين وبطلان أعمال الكفار:

فقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ العمل الصالح الذي يستحق صاحبه الثواب ومضاعفة الأجر يشترط أن يكون أساسًا مرتبطاً بالله تعالى إيمانا به وإخلاصا له وتقربا إليه، ويُلاحظ أنّ القرآن الكريم خصّ بالذكر الإنفاق باعتباره من أفضل الأعمال التي يتقرّب بها العبد إلى ربّه، والتي يضاعف الله الأجر والثواب عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:60). والمراد به هو الإنفاق في الجهاد، وهو أعظم القربات عند الله فمهما ينفق المسلم في الجهاد من أمواله فإنه يوّفى إليه على التمام والكمال[1]، فالحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء.

وفي مقابل ذلك شبّه ما ينفقه الكفّار بريحٍ ذات صوت شديد أو برد شديد أصابت زرع قومٍ فأهلكته فلم ينتفعوا بشيءٍ منه، قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران:117)، وكلّ أعمال الكفار الخيّرة تذهب يوم القيامة هباءً منثورا، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ (الفرقان:23).

وينتفي الظلم في إبطال أعمالهم من الله -سبحانه وتعالى- أنّهم ظلموا أنفسهم بالكفر المانع من قبول أعمالهم ونفقاتهم. والمعيار في قبول نفقات المؤمنين وإبطال نفقات الكافرين أنّ إنفاق المؤمن ارتبط بالله، وإنفاق الكافر ارتبط بالدنيا، وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل. وهذا ظاهرٌ في قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقوله عن إنفاق الكفار﴿في هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. فالكافر لا يتعدّى إنفاقه حدود العالم المادي، مِثْلُهُ مِثْلُ المنافق أو المُرائي، أمّا المؤمن الصادق فإنّ إنفاقه مرتبط بعالم الغيب يتعدّى كلّ الحدود المادية ليرتبط بالروح الإلهية المجيدة. إن نفي الظلم عن الله تعالى من خلال تلك السياقات يثبت العدالة المطلقة له سبحانه في: إهلاكه للظالمين، وجزائه على الأعمال، وعدم قبوله تعالى عمل الكفار، وعدم هدايته للمستكبرين.

---

(1) تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص83.

2. الظلم خاصية إنسانية:

كما نفى الله -سبحانه وتعالى- الظلم عن نفسه من جهات عديدة أثبته في حق الإنسان وبيّن أنّه خاصية وميزة فيه، قال تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: 34)، وقال أيضًا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ (الأحزاب: 72). إنّ أوّل ما يُلاحظ في الآيتين إثبات صفة الظلم في الإنسان جاء مقترنًا بإثبات صفة الكفر في الآية الأولى، وإثبات صفة الجهل في الآية الثانية، وفي هذا دلالة على ارتباط الكفر والجهل بالظلم.

ولفظ الإنسان في الآيتين يشمل كل إنسان؛ المؤمن والكافر والطائع والعاصي، ويرى البعض أن الإنسان اسم جنس يقصد به الكافر في هذا المعنى[1]. ويرى الرازي أن المراد من الإنسان هنا الجنس، وعادة هذا الجنس أنه مجبول على النسيان وعلى إغفال شكر النعمة[2]..

إذًا فعموم الناس يكفر النعمة، أمّا المسلم العادل من يقابل نعم الله بالشكر، والظالم يقابلها بالكفر ويستعين بها على معصية المُنعم دون استحياء، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، "**ظلوم** يظلم النعمة بإغفال شكرها، **كفّار** شديد الكفران لها"، أو "ظلوم في الشدة يشكو ويجزع، كفّار في النعمة يجمع ويمنع"[3].

3. النهي عن الظلم والأمر بضده:

الظلم ظاهرة سلوكية قبيحة وخلق شنيع أولى له القرآن اهتمامًا كبيرًا، حيث نهى عنه نهيًا شديدًا وأمر بضده، وهو العدل مع ربط النهي والأمر ببيان عاقبة الظالمين الوخيمة وثواب المقسطين واستحقاقهم لمحبة الله وهديه، حتى يكون للأمر والنهي الأثر العميق في النفس فتكون حارسة لما شرعه الله مطبقة له عن رغبة ورهبة، وخوف

---

(1) انظر: الواحدي، الوجيز في علم التفسير، دار العلم، دمشق، ط1، سنة 1415هـ/1995م، ج1، ص584؛ وفتح القدير، مصدر سابق، ج4، ص408.

(2) تفسير الرازي، مصدر سابق، مجلد10، ج 19، ص133.

(3) تفسير النسفي، مصدر سابق، ج8، ص175.

ورجاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: 90). أمر الله سبحانه في هذه الآية بالعدل ونهى عن التطاول بالظلم، والعدل "فعل كل ما هو مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق"[1]. ثمّ عقّبه بالإحسان وهو "فعل كل مندوب إليه"[2]. وبصلة الرحم، ونهى عن الفحشاء وهي القبيح من الأفعال والأقوال، ونهى عن المنكر، وهو ما ينكره الدين والعقل، وخصّه بعض المفسّرين بالشرك، ونهى عن التطاول بالظلم وهو البغي.

جاء في تنوير الأذهان: "وقد أمر الله تعالى في هذه الآية بثلاثة أشياء ونهى عن ثلاثة أشياء، وجمع في هذه الأشياء الستة علم الأولين والآخرين، وجمع الخصال المحمودة والمذمومة، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي أجمع آية في القرآن للخير والشر[3]. وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود:1121)، فهي لفظ صريح في النهي عن الطغيان وهو تجاوز الحد في حدود الله تعالى وقد جاء النهي بعد الأمر بالاستقامة على حدود الله تعالى. وقد نهى القرآن الكريم صراحة عن الركون إلى الظلمة في قوله تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (هود:113)، ومعنى ﴿وَلا تَرْكَنُوا﴾ "أي لا تميلوا أدنى الميل ومدار النهي هو الظلم"[4]، وإذا كان مجرد الميل إلى الظالم يستوجب العذاب فما بالنا بالظلمة أنفسهم ومن يناصرهم ويعاشرهم بل ويساعدهم على الإثم والعدوان؟

وإن كان النهي عن الظلم لم يأت بلفظ الظلم في القرآن الكريم إلاّ في آية الربا، وهو قوله تعالى: ﴿لا تَظلِمون ولا تُظلَمون﴾ وذلك في سياق إبطال ما لم يكن مقبوضًا من الربا، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا

(1) البحر المحيط، مصدر سابق، ج5، ص513.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص513.

(3) البروسوي، اسماعيل حق. تنوير الأذهان، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، ط2/ 1409هـ - 1989م، ج2، ص317.

(4) العمادي، أبو السعود: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم..)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، ج1، ص66.

تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: 278، 279)، فهذا نداء كريم من الإله الرحيم إلى عباده الذين لديهم الاستعداد التام لتلقي أوامره، والانقياد لها بموجب الإيمان الذي استقرّ في قلوبهم.

لقد عبّر القرآن الكريم عن صورة من صور الظلم وهي أكل الربا بلفظ الظلم للدلالة على قبح هذا الفعل وخطورته، كما عبّر عن الشرك بالظلم لأنّه أقبح القبائح. وابتدأ بالنهي عن الظلم ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بتسمية الفاعل للدلالة على أن المنع من الظلم أهم فبدئ به[1]، ولأن الإنسان إذا امتنع عن ظلم الناس أحجم الناس عادة عن ظلمه، ولأن المظالم يولِّد بعضها بعضاً.

أما أسلوب الأمر بضد الظلم وهو العدل وإن لم يرد فيه لفظ الظلم، إلا أنه توكيد للنهي عن الظلم حتى في أخفى صوره، أو أقلها شناعة. أضف إلى ذلك أن هذا الأسلوب ينبه أكثر إلى مجالات الظلم وذلك من خلال التعرف على مجالات العدل، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (الأنعام:152) فيه أمر بالتزام العدل في الأقوال، وبالتالي يقتضي النهي عن الظلم بالقول، وقد فسر بعض المفسرين العدل في القول بالصدق في الحكم والشهادة[2]، وفسره آخرون بكل ما له علاقة بالقول؛ فيدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يكون واقعا على وجه العدل وتبليغ الرسالات عن الناس والحكم بينهم وحكم الحاكم بالقول وفي إسداء النصيحة لهم...[3].

ونمضي مع القرآن الكريم في أسلوب الأمر بالعدل فنقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة 8)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ

(1) انظر: السمين الحلبي: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ا (ت 756هـ). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق: دار القلم، [د.ت.ن]، ج2، ص643.

(2) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معني التنزيل، مصدر سابق، ج2، ص200؛ والمحرر الوجيز، ج5، ص398.

(3) انظر: تفسير الرازي، مصدر سابق، ج13، ص248.

اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (النساء:135)، في كلا الآيتين نداء ندي يعقبه أمر للمؤمنين بأن يكون العدل خلقاً من أخلاقهم متمكنا فيهم، وذلك لأن صيغة "قوام" هي صيغة مبالغة لقائل فإذا قلنا قوام بالعدل دلّ هذا القول على أن القيام بالعدل من الأخلاق المتمكنة فيه فكلما اقتضاه الواجب أن يعمل بالعدل فإنه يعمل بالعدل[1]، ويعوق التزام العدل الشامل معوقات تتمثل في خمسة دوافع قوية في النفس الإنسانية، وهي دافع البغض، ودافع الحب، ودافع الشفقة، ودافع العصبية، ودافع المحاباة.

فأمر المؤمنين بضبط دافع البغض بالتزام العدل مع خصومهم وأعدائهم، قال تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ (المائدة:8)، فإن أنصفوا أعداءهم جسدوا تقوى الله في سلوكهم ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، حيث تطبيق مبدأ العدل يعطي صورة عن كمال الإسلام وعدالته وإن كان المسلمون يرون من التقوى إضعاف الأعداء في الدين بالجور عليهم. فجاءت هذه الآية مصححة للمفاهيم مؤكدة على أن الجور لا يكون أبدا من التقوى وأن العدل هو الموصوف بأنه "أقرب للتقوى" لأن من كان عادلا كان لله بعدله مطيعًا، ومن كان لله مطيعا، كان لا شك من أهل التقوى، ومن كان جائرا كان لله عاصيا، ومن كان لله عاصيا، كان بعيدًا من تقواه[2].

4. نفي محبته عن الظالمين وإثباتها للمقسطين:

نفى الله -سبحانه وتعالى- محبته عن الظالمين في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وأثبتها في حق المقسطين في ثلاثة مواضع أيضًا. فأمّا التي نفى فيها محبته للظالمين، فهي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: 57). وقال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: 140). وقال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: 40). وإن كان نفي المحبة الإلهية عن الظالمين دليل على قبح الظلم وشناعته، فهو فضلاً عن ذلك أسلوب قرآني للتنفير منه،

(1) عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق: دار القلم، ط1978/2م، مج1، ص628.

(2) تفسير الطبري، مصدر سابق، ج10، ص97.

حيث يكمن في تكرار نفي المحبة ردع المؤمنين عن اقتراف الظلم أو حتى اقترابه، والتورع عن أقل صوره قبحًا وشناعة. وما يُلاحظ على تلك الآيات أنّ نفي المحبة جاء في سياقات مختلفة:

ففي الآية الأولى لقد جاء في سياق بيان ما يلحق بالذين كفروا بسيدنا عيسى عليه السلام من العذاب الشديد، وما للمؤمنين به من الأجر العظيم، وختمت بقوله: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران:57

وفي الثانية جاء نفي المحبة الإلهية عن الظالمين في سياق بيان ما أصاب المؤمنين يوم أحد من الهزيمة وحثهم على قوة العزيمة، وعدم التواني في جهاد الكفار الذين لم يتوانوا عن قتالهم رغم هزيمتهم يوم بدر، والتقلب بين النصر والهزيمة سنة الله في الخلق، ثم ختم تعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ والثالثة في سياق الأمر بالعدل في رد الظلم.

أما الآيات الثلاث التي جاء فيها إثبات محبته -عز وجل- للمقسطين فهي قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: 42)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: 9)، وقوله تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8) في هذه الآيات مع اختلاف سياقاتها وعدٌ إلهي للذين آمنوا وأقسطوا بالدخول في زمرة من يحبهم الله، ويكفي المقسطين جزاء أن ينالوا حبّ الله، فذاك أعظم الجزاء.

يتجلى حب الله لعباده المقسطين في تطبيقهم لمبدأ العدل مطلقًا، هذا التطبيق الذي يجسّد صفة "قوّامون بالقسط"، حيث يتصرفون على أساس العدل في جميع الأحوال ومع جميع الناس على اختلاف أديانهم وأرزاقهم ومستوياتهم الاجتماعية والأخلاقية.

و تشيرتلك الآيات إلى أنّ محبة الله مرتبطة بما يحبه تعالى من أعمال ويرضاه

وتعليق محبته على أفعال مخصوصة يدلّ على شرف تلك الأعمال وأفضليتها عنده سبحانه وأنّها من الأولويات التي يجب على المسلم أن يفقهها ويحرص على تطبيقها في واقع حياته، والآيات الثلاث دلّت على شرف العدل ومنزلته عند الله، ولم يتوقّف الأمر هنا، بل دلّت أكثر على أهمية أنواع من العدل، وهي العدل في القضاء والعدل في الإصلاح بين المسلمين، والعدل في معاملة الكفار المسالمين، وإذا كان العدل فيها أهم فإن الظلم فيها أخطر.

فإذا أمعنّا النظر نستنتج أنّ القرآن الكريم حث على هذه الأنواع بالخصوص بربطها بمحبة الله، لأنّ وجودها في واقع حياة الناس يحقق السلام والأمن على مستوى الداخل بالإصلاح بين المتقاتلين وردّ البغاة، وعلى مستوى الخارج بالتزام العدل في معاملة الكفار المسالمين، وعلى المستويين الداخلي والخارجي بعدالة القضاء. فبين السلم والعدل ارتباط وثيق، وما تعيشه البشرية اليوم من انعدام الأمن والسلام إنّما مردّه إلى انعدام العدالة، وتفشي الظلم في مختلف المجالات

المحاضرة الخامسة

نماذج تطبيقية في التفسير الموضوعي

سورة الفاتحة نموذجا

بين يدي السورة:

سورة الفاتحة السورة التي يكررها المسلم سبعة عشر مرة في اليوم والليلة وأكثر من ذلك إن أدى النوافل وفي تكرارها أسرار ربانية عظيمة تتناسب وعدها أعظم سورة في كتاب الله، بل لم ينزل الله مثلها في أي كتاب من الكتب السماوية. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي بن كعب فقال يا أبي وهو يصلي فالتفت أبي فلم يجبه وصلى أبي فخفف ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك فقال يا رسول الله إني كنت في الصلاة قال فلم تجد فيما أوحى الله إلي أن استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا أعود إن شاء الله قال أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قال نعم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقرأ في الصلاة قال فقرأ أم القرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته . متفق عليه

و من أعظم ما يدل على فضلها على سائر القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم سماها بأم الكتاب. فعن أبى هريرة عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج - ثلاثا - غير تمام ». فقيل لأبى هريرة إنا نكون وراء الإمام. فقال اقرأ بها فى نفسك فإنى سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول « قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين). قال الله تعالى حمدنى عبدى وإذا قال (الرحمن

الرحيم). قال الله تعالى أثنى على عبدى. وإذا قال (مالك يوم الدين). قال مجدنى عبدى - وقال مرة فوض إلى عبدى - فإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين). قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل. فإذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل ». رواه مسلم

أولا: أسماؤها.

تعددت الروايات الصحيحة في أسماء سورة الفاتحة فهي :

أ- الفاتحة أو (فاتحة الكتاب):

سميت بهذا الاسم لأن هذه التسمية هي أول ما يفتح بها الكتاب ويبدأ بها في التعليم، فهي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف، وأول ما يتلوه التالي من القرآن العظيم، والقراءة في الصلاة[1]، وقيل سميت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كلام[2].

وقد ورد في تسميتها من السنة الشريفة ما أخرجه مسلم في صحيحه، عن ابن عباس، قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»[3].

---

(1) وفي ذلك المعنى ما أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الصلاة، باب في افتتاح القراءة ب ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: 2]، رقم (246) بسنده عن أنس، قال: «كان رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين» . وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ثم عقب الترمذي على هذا الحديث بقوله: "والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، والتابعين، ومن بعدهم: كانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين. قال الشافعي: إنما معنى هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم، وأبا بكر، وعمر، وعثمان، كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين. انظر: سنن الترمذي ت شاكر (2 / 15).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، بنظر: صحيح البخاري، مصدر سابق، (6 / 17).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، رقم (806). انظر: صحيح مسلم، مصدر سابق، (1 / 554).

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[1].

وقال الصابوني: "وتسمى «الفاتحة» لافتتاح الكتاب العزيز بها حيث إنها أول القرآن في الترتيب لا في النزول، وهي - على قصرها ووجازتها - قد حوت معاني القرآن العظيم، واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال، فهي تتناول أصول الدين وفروعه، تتناول العقيدة، والعبادة، والتشريع، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله الحسنى، وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء، والتوجه إليه جلَّ وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السابقين، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وفيها التعبد بأمر الله سبحانه ونهيه، إلى غير ما هنالك من مقاصد وأغراض وأهداف، فهي كالأم بالنسبة لبقية السور الكريمة ولهذا تسمّى «أم الكتاب» لأنها جمعت مقاصدة الأساسية"[2].

ب- أم الكتاب:

كما سميت سورة الفاتحة بأم الكتاب، قال الإمام البخاري في أول كتاب تفسير القرآن: "وسميت أم الكتاب أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة"[3].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت، رقم (723)، مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة رقم (394). انظر: صحيح البخاري، مصدر سابق، ، (1 / 263): صحيح مسلم، مصدر سابق، (1 / 295).

(2) الصابوني: محمد علي. صفوة التفاسير، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/1997م، (1 / 18).

(3) وفي ذلك المعنى ما أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الصلاة، باب في افتتاح القراءة ب ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: 2]، رقم (246) بسنده عن أنس، قال: «كان رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين» . وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ثم عقب الترمذي على هذا الحديث بقوله: "والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، والتابعين، ومن بعدهم: كانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين. قال الشافعي: إنما معنى هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم، وأبا بكر، وعمر، وعثمان، كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين. انظر: سنن الترمذي ت شاكر (2 / 15).

كما ورد في سنن أبي داود عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني»[1].

وسميت بأم الكتاب فيما أخرجه أبو داود في حديث الرقية عن أبي سعيد الخدري، قال: أن رهطا، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انطلقوا في سفرة سافروها فنزلوا بحي من أحياء العرب فقال بعضهم: إن سيدنا لدغ فهل عند أحد منكم شيء ينفع صاحبنا، فقال رجل من القوم: نعم والله إني لأرقي ولكن استضفناكم فأبيتم أن تضيفونا، ما أنا براق حتى تجعلوا لي جعلا، فجعلوا له قطيعا من الشاء، فأتاه فقرأ عليه أم الكتاب ويتفل حتى برأ كأنما أنشط من عقال، قال: فأوفاهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقالوا: اقتسموا فقال: الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنستأمره فغدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أين علمتم أنها رقية، أحسنتم، اقتسموا، واضربوا لي معكم بسهم»[2].

ووردت أم الكتاب في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ولا يقصد بها سورة الفاتحة، بل ما عو اعم وأشمل قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: 7)

وقال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: 39).

وقال تعال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (4)﴾(الزخرف: 3-4).

فكأن المقصود هنا بأم الكتاب هو لب السجل الأعظم الذي كتبه القلم في أول الخلق كما جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام أحمد عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: أوصاني أبي رحمه الله فقال: يا بني أوصيك أن تؤمن بالقدر خيره وشره؛

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب، رقم (1457). انظر: سنن أبي داود (2 / 71).

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب كيف الرقى، رقم (3900) سنن أبي داود (4 / 14). والإمام مالك في الموطأ، (1 / 65).

فإنك إن لم تؤمن أدخلك الله النار قال: وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرُ قَالَ: فَكَتَبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»[1]. وزاد أبو داود "يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»"[2].

فالكتاب المذكور في هذه الآيات هو ما كتبه الله تعالى على خلقه، وأم الكتاب فيه هي الآيات المحكمات التي أنزلها الله تعالى على عباده ليعملوا بها[3]، وهي التشريعات المرادة من قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣)، وفي ذلك ما نقله الطبري عن مالك بن دينار قال: "سألت الحسن: قلت: (أمُّ الكتاب) ، قال: الحلال والحرام قال: قلت له: فما (الحمد لله رب العالمين) قال: هذه أمُّ القرآن"[4]. وينسخ منها ما يشاء أي يبدلها بما يناسب حياة عباده ويوافق تطور عقولهم عبر التاريخ، فما كان يناسب قوم نوح غير الذي كان يناسب قوم إبراهيم أو قوم موسى عليهم السلام جميعا.

وقد سمى الله تعالى ما أنزله من الآيات على عباده كتبا، واتصف بنو إسرائيل بأهل الكتاب لكثرة أنبيائهم والكتب التي أنزلت عليهم، وكان القرآن الكريم خاتمها وأجلها وأكملها بما يناسب ختم النبوة، فكانت الفاتحة بما حوته من معاني القرآن العظيم، واشتملت بالإجمال على مقاصده الأساسية، هي أم الكتاب وهو القرآن الكريم، والقرآن الكريم بما يحمله من الآيات المحكمات، هو أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ كما قال

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (22707)، انظر: مسند أحمد (37 / 381).

(2) أخرجه أبو داود في سننه باب في القدر، رقم (4700)، انظر: سنن أبي داود (4 / 225).

(3) قال الإمام الشعراوي: "إن الشيء المحكم هو الذي لا يتسرب إليه خلل ولا فساد في الفهم؛ لأنه محكم، وهذه الآيات المحكمة هي النصوص التي لا يختلف فيها الناس.... فالمُحكم هو ما لا تختلف فيه الأفهام؛ لأن النص فيه واضح وصريح لا يحتمل سواه، و«المُتشابه» هو الذي نتعب في فهم المراد منه، وما دمنا سنتعب في فهم المراد منه فلماذا أنزله؟... إن المُتشَابه من الآيات قد جاء للإيمان به، والمُحْكَم من الآيات إنما جاء للعمل به، والمؤمن عليه دائما أن يرد المُتشَابِه إلى المُحْكَم". تفسير الشعراوي، مرجع سابق، (2 / 1273– 1276).

(4) تفسير الطبري ، مصدر سابق، (16 / 490).

تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: 22]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: 37). وهذا ما فسره قتادة بجملة الكتاب وأصله[1]. وفسره عن ابن عباس، بما نقله عن كعب عندما سأله عن "أم الكتاب" قال: "علم الله ما هو خَالقٌ وما خَلْقُه عاملون، فقال لعلمه: كُنْ كتابًا، فكان كتابًا"[2].

وقد ذكر النبي ﷺ هذا الكتاب فيما نقله الإمام أحمد عن العرباض بن سارية السلمي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل[3] في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم"[4].

ومنه حديث الإسراء والمعراج الذي فرضت فيه الصلاة وهو حديث طويل أخرجه الشيخان بسندهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه ومحل الشاهد فيه «فَقَالَ الجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ»[5].

وجاء في الأثر ما يثبت هذا المعنى عن عبد الواحد بن سليم، قال: قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت له: يا أبا محمد، إن أهل البصرة يقولون في القدر، قال: يا بني، أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ الزخرف، قال: فقرأت: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (4)﴾ [الزخرف: 3-4]،

---

(1) تفسير الطبري ، مصدر سابق، (16 / 490).

(2) تفسير الطبري ، مصدر سابق، (16 / 491).

(3) أَيْ ملقى على الجَدَالَة، وَهِيَ الْأَرْضُ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مصدر سابق، (1/ 248).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم (17163). انظر: مسند الإمام أحمد، مصدر سابق، (28 / 395):

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: 164] ، رقم (7517)، مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم. . (162). انظر: صحيح البخاري، مصدر سابق، (9/ 149)، صحيح مسلم، مصدر سابق، (1/ 145).

فقال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات وقبل أن يخلق الأرض"[1].

ج- السبع المثاني:

سميت بالسبع المثاني فيما ورد من الحديث الشريف من حديث أبي سعيد بن المعلى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟»، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ» قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[2].

د- سورة الصلاة:

ورد هذه الاسم في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ» ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1] ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي -وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي- فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، رقم (2155) انظر: سنن الترمذي، مصدر سابق، (4 / 457).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، رقم (5006)، ينظر: صحيح البخاري، مصدر سابق، (6/ 187).

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"[1].

وقد اشتهرت بعدة أسماء اجتهادية ذكرها العلماء كسورة الحمد والشافية والوافية والكافية والرقية والكنز وغير ذلك مما أجادت به قريحة العلماء المجتهدون. قال البقاعي: "فالفاتحة أسمها " أم الكتاب" "والأساسا" "والمثاني" "والكنز" و"الشافية" و"الكافية" و"الوزافية" و"الواقية " و"الرقية" و"الحمد " و" الشكر " و" الدعاء " و" الصلاة " فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد وهو المراقبة التي سأقول إنها مقصودها فكل شيء لا يفتتح بها لا اعتداد به، وهي كنز لكل شيء شافية لكل داء، كافية لكل هم، وافية بكل مرام، واقية من كل سوء رقية لكل ملم، وهي إثبات للحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر الذي هوز تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء فإنه التوجه إلى المدعو، وأعظم مجامعها الصلاة"[2].

ثانيا: فضائلها.

أغلب الأحاديث التي ذكرت في أسماء الفاتحة تدل على فضائلها فمن هذه الفضائل:

أنها أعظم سورة هي أم الكتاب أي تحمل جميع ما حواه ضمت جميع علومه وهي رقية وعلاج ودواء وشفاء للأسقام المادية والمعنوية، ويكفي في فضلها أن الله قسمها بينه وبين العبد فهي مناجاة له سبحانه. وقد قال الغزالي في فضلها أنها حوت ثمانية من علوم الكتاب وهي: 1- الذات.2- والصفات. 3- والأفعال. 4- وذكر المعاد. 5- والصراط المستقيم بجميع طرفيه أعني التزكية والتحلية.6- وذكر نعمة الأولياء.7- وغضب الأعداء. 8- وذكر المعاد

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، رقم (395)، ينظر: صحيح مسلم، مصدر سابق، (1/ 296).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق، (1/ 19-20).

ثالثا: عدد آياتها.

أجمع العلماء على أن فاتحة الكتاب سبع آيات، لما ثبت في القرآن والسنة إلا أنهم اختلفوا في الآية السابعة، فمن جعل البسملة أولى آياتها[1]، قال إن قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ آية واحدة وهي السابعة، ومن لم يجعل البسملة آية من الفاتحة[2]. قال ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ لآية السادسة و﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الآية السابعة[3].

رابعا: وقت نزولها.

الراجح أنها نزلت بمكة أي أنها سورة مكية، لقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: 87]، وهذه الآية في سورة الحجر، وسورة الحجر مكية بالإجماع، وقد صح في الحديث قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الفاتحة إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته.

خامسا: الظروف التي نزلت فيها.

نزلت الفاتحة في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإسلامية في مكة وهي السورة الخامسة وفق ترتيب النزول وهي بموضوعاتها مناسبة للمرحلة التي نزلت فيها، نزلت لتشحن الجماعة المسلمة الأولى بقضايا التوحيد والعبادة وانتهاج المنهج السليم في وسط جاهلي ملأه الشرك والضلال.

سادسا: المحور الأساسي لسورة الفاتحة.

ويقصد بالمحور الأساسي الهدف العام من السورة وهو في سورة الفاتحة أن يدين الناس لرب العالمين، لقد جاء تقرير العبودية لله تعالى جليا في سورة الفاتحة وهو المحور الرئيس في القرآن كله. قال الإمام محمد عبده: "و الفاتحة بجملتها تنفخ روح

---

(1) وهم قراء الكوفة ومكة، وبه أخذ الإمام الشافعي ورواية عند أحمد..

(2) وهم قراء المدينة والبصرة والشام وبه أخذ الجمهور أبو حنيفة ومالك وأحمد.

(3) من أراد أدلة كل فريق فليراجع أحكام القرآن للجصاص، وأحكام القرآن لابن العربي وتفسير آيات الأحكام للسايس. ومفاتيح الغيب للرازي.

العبادة في المتدبر له، وروح العبادة هي إشراب القلوب خشية اللهو هيبته والرجاء لفضله، فقد ذكرت العبادة في الفاتحة قبل ذكر الصلاة وأحكامها والصيام وأيامه، وكانت هذه الروح في المسلمين قبل أن يكلفوا هذه الأعمال البدنية، وقبل نزول أحكامها التي فصلت في القرآن تفصيلا ما وإنما الحركات والأعمال مما يتوسل به إلى حقيقة العبادة"[1].

و محاورها الأساسية هي محاور القرآن نفسه وهي:

· العقيدة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)﴾ [الفاتحة: 2- 4].

· العبادة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]

· المنهج الصحيح للحياة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) ﴾ [الفاتحة: 6، 7].

فهي سؤال العبد ربه طريق الهداية أي منهج الحياة السليم، فجاء ما بعدها جوابا لسؤاله .

سابعا: موضوعات سورة الفاتحة.

1- تحت محور العقيدة اندرجت مواضيع التوحيد واليوم الأخر: التوحيد بأنواعه: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، فأخذ ذلك من قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال ابن القيم فِي اشْتِمَالِ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.

التَّوْحِيدُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ فِي الْعِلْمِ وَالِاعْتِقَادِ، وَنَوْعٌ فِي الْإِرَادَةِ وَالْقَصْدِ، وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ: التَوْحِيدَ الْعِلْمِيَّ، وَالثَّانِي: التوْحِيدَ الْقَصْدِيَّ الْإِرَادِيَّ، لِتعَلُّقِ الْأَوَّلِ بِالْأَخْبَارِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَالثَّانِي بِالْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ، وَهَذَا الثَّانِي أَيْضًا نَوْعَانِ: تَوْحِيدٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدٌ فِي الْإِلَهِيَّةِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ.

(1) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج1، ص37

فَأَمَّا تَوْحِيدُ الْعِلْمِ: فَمَدَارُهُ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَعَلَى نَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالْمِثَالِ، وَالتَّنْزِيهِ عَنِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا شَيْئَانِ: مُجْمَلٌ، وَمُفَصَّلٌ.

أَمَّا الْمُجْمَلُ: فَإِثْبَاتُ الْحَمْدِ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَمَّا الْمُفَصَّلُ: فَذِكْرُ صِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ وَالْمُلْكِ، وَعَلَى هَذِهِ الْأَرْبَعِ مَدَارُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

يوم الدين الذي يلقى العبد فيه جزاءه على الطريق الذي سار فيه، وكل ما يكون بعد الموت يتعلق بيوم الدين، فالحياة البرزخية والبعث بعد الموت، والحشر والحساب والميزان والصراط، والاستقرار في الجنة أو النار، كلها من متعلقات يوم الدين، اليوم الآخر، فأخذ ذلك من قوله تعالى:﴿ مَالِكِ يوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: 4]

2- تحت محور العبادة اندرجت مواضيع الإخلاص في العمل بالشريعة والاستعانة به وحده. اي علم الفروع وأساسه العبادات من صلاة وصيام وزكاة، وهذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾. اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ أَتَمَّ اشْتِمَالٍ، وَتَضَمَّنَتْهَا أَكْمَلَ تَضَمُّنٍ.

فَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّعْرِيفِ بِالْمَعْبُودِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ، مَرْجِعُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا إِلَيْهَا، وَمَدَارُهَا عَلَيْهَا، وَهِيَ: اللَّهُ، وَالرَّبُّ، وَالرَّحْمَنُ، وَبُنِيَتِ السُّورَةُ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ، فَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5] مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ، وَطَلَبُ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وَالْحَمْدُ يَتَضَمَّنُ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ، فَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَالثَّنَاءُ وَالْمَجْدُ كَمَالَانِ لِجَدِّهِ.

وَتَضَمَّنَتْ إِثْبَاتَ الْمَعَادِ، وَجَزَاءَ الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ، حَسَنِهَا وَسَيِّئِهَا، وَتَفَرُّدَ الرَّبِّ تَعَالَى بِالْحُكْمِ إِذْ ذَاكَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَكَوْنَ حُكْمِهِ بِالْعَدْلِ، وَكُلُّ هَذَا تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]. وَتَضَمَّنَتْ إِثْبَاتَ النُّبُوَّاتِ مِنْ جِهَاتٍ عَدِيدَةٍ"[1].

3- وتحت محور المنهج يندرج موضوع الشرائع والتكاليف والالتزام بالصراط المستقيم، وكل ذلك في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

(1) مدارج السالكين، مصدر سابق، ج1ص197.

ثامنا: مقاصد السورة ودلالاتها التربوية.

المقصد العام من السورة هو الهداية وهو المقصد من القرآن كله أي اهتداء الناس إلى المنهج السليم لحياتهم، وهو منهج الله النعمة المطلقة لعباده المؤمنين. ولا يتيسر لهم السير على المنهج إلا بهداية الله لهم والهداية لا تكون إلا بالعلم النافع وهو الإيمان بالحقائق الكبرى للعقيدة وبالعمل الصالح وهو العبادة بمفهومها الشامل. وبدونهما لا تستقيم الحياة على منهج الله.

إذن الفاتحة دعوة للعلم والعمل جاءت الدعوة للعلم وهو المعرفة بالله في النصف الأول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)﴾.

و النصف الثاني منها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)﴾ هو دعوة للعمل. وبناء على العلم والعمل انقسم الناس الى ثلاثة أصناف :

أناس جمعوا بين العلم والعمل وهم المنعم عليه ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

أناس تحصلوا على العلم وافتقدوا العمل وهم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾

أناس حققوا العمل وافتقدوا العلم فعملوا على جهالة وهم ﴿الضَّالِّينَ﴾

فإذا قاد العلم والمعرفة بالله إلى العمل بالشرائع يتحقق اتباع الصراط المستقيم، والمعرفة الصحيحة دون العمل الصالح أو العمل غير المستند إلى علم صحيح هما انحراف عن الطريق المستقيم.

والملاحظ أن سورة الفاتحة قد وازنت بين العلم والعمل بشكل معجز، جعلها الله بينه وبين عبده مثالا حيا للقسط والتوازن المطلوب أن يحققه العبد في حياته.

قول المؤمن: ﴿إِيَّاكَ نعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حصر للعبادة والاستعانة في الله وحده تعبير عن التحرر الحقيقي يقول سيد قطب: "هذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل. التحرر من عبودية الأوهام. والتحرر من عبودية النظم، والتحرر من عبودية الأوضاع. وإذا كان الله وحده هو الذي يُعبد، والله وحده هو الذي يُستعان، فقد

تخلص الضمير البشري من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص، كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات"[1].

طرحت السورة أساسيات الدين ومقاصده العليا في جو من الثناء والدعاء، ثناء على الله ليشعر المؤمن أن الإيمان اعظم رحمة والطريق المستقيم أعظم نعمة فيأتي الدعاء معبرا عن الافتقار قال سيد قطب في الظلال: "هذه الصفة التي تستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها تتكرر هنا في صلب السورة، في آية مستقلة، لتؤكد السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة ولتثبت قوائم الصلة الدائمة بين الرب ومربوبيه. وبين الخالق ومخلوقاته.. إنها صلة الرحمة والرعاية التي تستجيش الحمد والثناء"[2].

وعلم الله تعالى عباده المؤمنين سؤال الهدى وأرشدهم الى وسيلتين ذكرهما ابن القيم فقال: "عَلَّمَ اللَّهُ عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ سُؤَالِهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ حَمْدَهُ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ، وَتَمْجِيدَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ عُبُودِيَّتَهُمْ وَتَوْحِيدَهُمْ، فَهَاتَانِ وَسِيلَتَانِ إِلَى مَطْلُوبِهِمْ، تَوَسُّلٌ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَوَسُّلٌ إِلَيْهِ بِعُبُودِيَّتِهِ، وَهَاتَانِ الْوَسِيلَتَانِ لَا يَكَادُ يُرَدُّ مَعَهُمَا الدُّعَاءُ"[3].

وسمى الإمام ابن القيم الجوزية أحد مصنفاته في التربية والسلوك "مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين"، وهو بهذا يشير إلى أن طريق المسلم يكون بين هذين المقامين مقام العبادة ومقام الاستعانة.

- علم الله عباده الأدب أدب الابتداء بالبسملة في كل امر ذي بال وأدب الاستعانة بالله تعالى وأدب الدعاء وهو الثناء على الله تعالى.
- تعليم الناس الحمد وهو أعم من الشكر وان الله مستحق للحمد كله بامور ثلاثة تربيته للخلائق ورحمته الواسعة بهم وجزاءه العادل يوم الدين. فالحمد في كلام العرب معناه: الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس، فهو – سبحانه – يستحق الحمد بأجمعه، والثناء المطلق. والحمد نقيض الذم. وهو أعم من الشكر، لأن الشكر يكون مقابل النعمة بخلاف

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1 ص25.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1 ص24.

(3) مدارج السالكين، مصدر سابق، ج1 ص47.

الحمد، تقول: حمدت الرجل على شجاعته، وعلى علمه، وتقول: شكرته على إحسانه[1].

- الألف واللام في (الحمد) لاستغراق الجنس، والمعنى لا يستحق الثناء الكامل، والحمد التام الوافي، إلاّ الله ربّ العالمين، فهو الإله المنعوت بصفات الكمال، المستحق لكل تمجيد وتعظيم وتقديس، والصيغة وردت معرّفة (الحمدُ لله) للإشارة إلى أنّ الحمد له تعالى أمر دائم مستمر، لا حادث متجدّد، فتدبره فإنه دقيق[2].
- ذكر ﴿الرحمن الرَّحِيمِ﴾ : عقب لفظ ﴿رَبِّ العالمين﴾ هي أن لفظ ﴿الربّ) ينبئ عن معنى الكبرياء، والسيادة، والقهر، فربمّا توهّم السامع أن هذا الربّ قهّار جبّار لا يرحم العباد فدخل إلى نفسه الفزع، واليأس، والقنوط، لذلك جاءت هذه الجملة لتؤكد أن هذا الرب - جلّ وعلا - رحمن رحيم، وأن رحمته وسعت كل شيء[3].

قال أبو حيّان: "بدأ أولاً بالوصف بالربوبيّة، فإن كان الرب بمعنى السيّد، أو بمعنى المالك، أو بمعنى المعبود، كان صفة فعل للموصوف، فناسب ذلك الوصف بالرحمانية والرحيمية، لينبسط أمل العبد في العفو إن زلّ، ويقوى رجاؤه إن هفا"[4].

وآخر سورة الفاتحة قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضآلين) وجاءت سورة البقرة بعدها تتحدث عن المغضوب عليهم (بني إسرائيل) وكيف عصوا ربهم ورسولهم وجاءت سورة آل عمران لتتحدث عن الضآلين (النصارى) .

وآخر كلمات سورة الفاتحة الدعاء جاءت مرتبطة ببداية سورة البقرة (هدى للمتقين) فكأن (اهدنا الصراط المستقيم) في الفاتحة هو الهدى الذي ورد في سورة البقرة. بداية

---

(1) ينظر: تفسير القرطبي، مصدر سابق، (1/ 133).

(2) الصابوني: صفوة التفاسير، مرجع سابق، (1 / 39).

(3) الصابوني: محمد علي. صفوة التفاسير، مرجع سابق، (1 / 39).

(4) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت 745هـ). البحر المحيط في التفسير= تفسير أبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ط1420/1هـ، (1/ 35).

السورة (الحمد لله رب العالمين) وهذه أول كلمات المصحف، يقابلها آخر كلمات سورة الناس (من الجنة والناس) ابتدأ تعالى بالعالمين وختم بالجنة والناس بمعنى أن هذا الكتاب فيه الهداية للعالمين وكل مخلوقات الله تعالى من الجنة والناس وليس للبشر وحدهم أو للمسلمين فقط دون سواهم.

الخاتمة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)﴾ [البقرة: 23، 24]

سورة الفاتحة صورة للإعجاز البلاغي في القران الكريم، وتعد من قصار السور إلا أنها حوت معاني القرآن ومقاصده العليا وأحكمت مواضيعها بتوازن فريد.

المحاضرة السابعة

النفاق في القرآن الكريم

مقدمة:

إن النفاق داء عضال، وانحراف خلقي خطير في حياة الأفراد، والمجتمعات، والأمم، فخطره عظيم، وشرور أهله كثيرة، وتبدو خطورته الكبيرة حينما نلاحظ آثاره المدمرة على الأمة كافة، وعلى الحركات الإصلاحية الخيّرة خاصة؛ إذ يقوم بعمليات الهدم الشنيع من الداخل، بينما صاحبه آمن لا تراقبه العيون ولا تحسب حسابًا لمكره ومكايده، إذ يتسمى بأسماء المسلمين ويظهر بمظاهرهم ويتكلم بألسنتهم.

إن الإنسان متى ما وفقه الله تعالى وهداه إلى الدخول في الإسلام فإنه قد تخطى بذلك عقبة كؤودا في طريقه إلى رضوان الله تعالى عز وجل حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران 85.

وبعد الدخول في الإسلام، ستكون هناك عقبة أخرى لابد لكل مسلم أن يتجاوزها لكي يتم إيمانه وهى التي جاءت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات 15)، وهذه العقبة هي عقبة الريبة والشك التي إن توقف عندها المسلم وقع في النفاق دون أن يشعر، وعدم معرفة الحق وبذل الجهد في سبيل تحصيله يوقع حتما صاحبه في الزلل مصداقا لقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ...ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه،

ورضي الله تعالى عن الصحابي الجليل أمين سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان الذي نبهنا إلى هذه الحقيقة في الحديث المشهور عندما سأل رسول الله ﷺ عن الفتن فقال رضي الله عنه: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت:

وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"[1].

وأغلبية المسلمين إذا سئلوا عن النفاق والمنافقين يرونه أنه هو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر، دون إبداء الأسباب الحقيقية لهذا التعريف، وحين نقرأ بعض آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المنافقين مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: 54) وإذا قرأنا في سورة المنافقين قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: 3)، علمنا إجابة السؤال السابق، أن المنافقين قد دخلوا في الإسلام حقا ثم كفروا لوقوعهم في إحدى شُعب الكفر.

أولا: مفهوم النفاق.

1. تعريف النفاق في اللغة:

النون والفاء والقاف أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على انقطاعِ شيءٍ وذَهابه، والآخر على إخفاءِ شيءٍ وإغماضِه. ومَتَى حُصِّل الكلامُ فيهما تقارَبا [2].

ومنه النَفَقُ: سربٌ في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكانٍ. والنافِقاءُ: إحدى جِحَرَةِ اليربوع، يكتُمها ويُظهر غيرها، وهو موضعٌ يرقّقه، فإذا أُتِيَ من قِبَلِ القاصِعاءِ ضربَ النافِقاءَ برأسه فانْتَفَقَ، أي خرج. والجمع النَوافِقُ. والنُفقَةُ أيضاً، مثال الهُمَزَةِ: النافِقاءُ. تقول منه: نَفَّقَ اليربوع تَنْفيقاً، ونافَقَ، أي أخذ في نافِقائه. ومنه اشتقاق المُنافِقِ في

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم (3338)، صحيح البخاري، مصدر سابق، ، (439/11)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم (3434)، صحيح مسلم، مصدر سابق، ، (386/9).

(2) مقاييس اللغة 5/ 364

الدينِ[1]، لأن صاحبَه يكتُم خلافَ ما يُظهِر، فكأن الإيمان يَخرُج منه، أو يخرج هو من الإيمانِ في خفاء.

ويمكن أنَّ الأصلَ في الباب واحد، وهو الخُرُوجُ. والنَّفَق: المَسلك النَّافذ الذي يُمكن الخروجُ منه[2]، والنِّفاق بالكسر فعل المنافِق والنِّفاقُ الدخول في الإسلام من وَجْه والخروُج عنه من آخر[3].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعُنَّ سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضبٍّ لاتَّبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمَنْ؟»[4].

2. تعريف النفاق في الاصطلاح الشرعي:

قال ابن كثير رحمه الله: "النفاق: هو إظهار الخير، وإسرار الشرّ، وهو أنواع: اعتقاديٌّ، وهو الذي يخلّد صاحبه في النار، وعمليٌّ وهو أكبر من الذنوب، قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسرّه علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه"[5]. وقال الجرجاني في التعريفات أن النفاق هو: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب[6].

والنفاق نوعان: نفاق أكبر (عقائدي) يُخرج من الملّة، ونفاق أصغر (عملي) لا يُخرج من الملّة[7]. قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمة الله تعالي : لفظ النفاق قد قيل ، أنه لم تكن العرب تكلمت به ولكنه مأخوذ من كلامهم فإن نفق يشبه خرج ومنه نفقت الدابة: إذا ماتت -خرجت منها الروح- ، ومنه نافقا واليربوع[8]، والنفق في الأرض قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي

---

(1) الصحاح في اللغة 2/ 224

(2) مقاييس اللغة 5 / 364

(3) ابن منظور: محمد بن مكرم. لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط1996/3م. 10 / 357.

(4) مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، 2054/4، برقم 2669 .

(5) تفسير ابن كثير، 48/1 عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِالله وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: 8]، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري، 268/1-272

(6) الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص 311.

(7) انظر: شرح أصول السنة للإمام أحمد للشيخ عمر الحربي، (1 / 41).

(8) حيوان صحراوي يقوم بكتم احد جحريه ويظهر غيره.

السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فالمنافق هو الذي خرج من الإيمان باطنا بعد دخوله فيه ظاهراً، وقيد النفاق بأنه نفاق من الإيمان، ومن الناس من يسمي من خرج عن طاعة الملك نافقا عليه، لكن النفاق الذي في القرآن هو النفاق على الرسول صلى الله عليه وسلم، فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء كخطاب الناس بغيرها وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً[1].

والنفق كما هو معلوم في العصر الحاضر هو سرب في الأرض أو الجبل له مدخل ومخرج، والإسلام هو الطريق الذي يسلكه من أسلم وإذا استمر فيه على شرع ومنهاج الله عز وجل ، فإنه يؤدي به إلى الإيمان ، ثم إلي الإحسان ، ثم إلي لقاء الله عز وجل في الجنة ، وهناك من يدخل الإسلام بالشهادتين، وقد يصلي، ويزكي، ويحج بيت الله الحرام ، ويصوم شهر رمضان، ولكنه يخرج من الإسلام عن طريق شُعب الكفر المعروفة في القرآن والسنة النبوية الشريفة ومنها: كفر الشك ، أو كفر الجحود، أو كفر الاستكبار، أو كفر الاستهزاء. . . إلى آخره، والصنف الأغلب والذي نحن بصدده هو كفر الشرك في أحد أركان الإيمان الست وما يتعلق بها.

ثانيا: أنواع النفاق.

النفاق: نفاقان: نفاق دون نفاق، أو نفاق مُخْرِجٌ من الملّة، ونفاق لا يُخرج من الملّة قال ابن تيمية: "والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق ولهذا كثيرا ما يقال : كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل ونفاق أكبر ونفاق أصغر" [2].

1. النفاق الأكبر -النفاق الاعتقادي-:

وهو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر. أو هو مخالفة الباطن للظاهر، وإظهار القول باللسان، أو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد. والمنافق: يخالف قوله فعله، وسره علانيته؛ فهو يدخل الإسلام من باب، ويخرج من باب آخر، ويدخل في الإيمان ظاهرا، ويخرج منه باطنا. وتفصيل ذلك أن يُظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه،

---

(1) مجموع الفتاوى، (524/7)

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر أيوب المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2/ 1973م، (347/1-359).

ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ويُبطن ما يُناقض ذلك كلّه أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بذمّ أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار[1]. ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145)﴾ (النساء:142-145)، وقوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون:1).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعض صور النفاق الأكبر فقال: "فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أُبيٍّ وغيره، بأن يُظهر: تكذيب الرسول ﷺ، أو جحود بعض ما جاء به، أو بُغضه، أو عدم اعتقاد وجوب طاعته، أو المسرّة بانخفاض دينه، أو المساءَة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله، وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله ﷺ، ومازال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده ﷺ. . . "[2].

فيتحصل مما ذكر أنواعٌ أو صفاتٌ للنفاق الأكبر، وهي على النحو الآتي:

1- تكذيب الرسول ﷺ. أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ. وعدم اعتقاد وجوب تصديقه ﷺ فيما أخبر به. أو عدم اعتقاد وجوب طاعته ﷺ فيما أمر به.

2- بغض الرسول ﷺ. أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

3- المسرَّة بانهزام الرسول ﷺ. أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

---

(1) انظر: جامع العلوم والحكم، مصدر سابق، (480/2).

(2) مجموع فتاوى، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط2005/3م، (434/28) .

وغير ذلك مما دلّ القرآن الكريم أو السنة المطهَّرة على أنه من النفاق الأكبر المخرج من ملّة الإسلام[1].

2. النفاق الأصغر -النفاق العملي-:

وهو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحةً، ويُبطن ما يُخالف ذلك وأصول هذا النفاق ترجع إلى حديث عبد الله بن عمر، وعائشة ﷺ، وهي خمسة أنواع:

1- أن يحدّث بحديث لمن يصُدّقه به، وهو كاذبٌ له.

2- إذا وعد أخلف، وهو على نوعين: **النوع الأول**: أن يعِدَ ومن نيّته أن لا يفي بوعده، وهذا أَشرُّ الخلف، ولو قال: أفعل كذا إن شاء الله تعالى، ومن نيّته أن لا يفعل كان كذباً وخُلْفاً. قاله: الأوزاعي. **النوع الثاني**: أن يعِدَ ومن نيته أن يفي، ثم يبدو له، فيخلف من غير عذر له في الخلف.

3- إذا خاصم فجر، ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً، والباطل حقاً، وهذا مما يدعو إلى الكذب.

4- إذا عاهد غدر ولم يفِ بالعهد، والغدر حرام في كل عهدٍ بين المسلمين وغيرهم، ولو كان المعاهَد كافراً.

5- الخيانة في الأمانة، فإذا اؤتمن المسلم أمانة، فالواجب عليه أن يؤدّيها.

وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كُلّه يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، واختلاف القلب واللسان، واختلاف الدخول والخروج؛ ولهذا قالت طائفة من السلف: خشوع النفاق: أن ترى الجسد خاشعاً، والقلب ليس بخاشع[2].

وهذا النفاق لا يُخرج من الملّة، فهو "نفاق دون نفاق"؛ لحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا عاهد

(1) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، للدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي ، 160/2.

(2) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب، مصدر سابق، 480/2-495.

غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»[1]؛ ولحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان»[2].

3. الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

1- النفاق الأكبر يُخرج من الملّة، والأصغر لا يُخرج من الملّة[3].
2- النفاق الأكبر يُحبط جميع الأعمال.
3- النفاق الأكبر اختلاف السرّ والعلانية في الاعتقاد، والأصغر اختلاف السرّ والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد[4].
4- النفاق الأكبر يُخلّد صاحبه في النار إذا مات عليه، والأصغر لا يُخلده.
5- النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، أما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.
6- النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه[5]، وإذا تاب فقد اختلف في توبته في الظاهر عند الحاكم؛ لكون ذلك لا يُعلَم، إذْ هم دائماً يُظهرون الإسلام[6].

ثالثا: صفات المنافقين.

ذكر الله سبحانه وتعالى كلمة (النفاق) ومشتقاتها سبعا وثلاثين مرة، وفي عدة سور مختلفة هي: سورة آل عمران، وسورة الحشر، وسورة التوبة، وسورة الأحزاب، وسورة الفتح، وسورة الحديد، وسورة الأنفال، وسورة المنافقون، وسورة النساء، وسورة العنكبوت، وسورة التحريم، وهذا دليل على خطر المنافقين على المجتمع الإسلامي.

وذكر الله تعالى ما يقرب من ثلاثين علامة للمنافقين في 11 سورة من سور القرآن الكريم مثل الكسل في العبادة، والمراءاة فيها، وغيرها منها:

---

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، 17/1، برقم 34، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، 78/1، برقم 58.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، 16/1، برقم 33، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، 78/1، برقم 59.

(3) انظر؛ الملخص في شرح كتاب التوحيد، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة، الرياض،ط1/ 2001م، ص18.

(4) انظر: كتاب التوحيد، للفوزان، ص18.

(5) انظر: كتاب التوحيد، للفوزان، ص18.

(6) انظر: فتاوى ابن تيمية، مصدر سابق، 28/ 334.

1. **الكذب والخداع**: يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: الكذب ركن من أركان الكفر. والله إذا ذكر النفاق في القرآن ذكر معه الكذب، وإذا ذكر الكذب ذكر معه النفاق. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)﴾ (البقرة: 8-10).

2. **الإفساد في الأرض بزعم الإصلاح**: يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13)﴾ (البقرة: 11-13).

3. **الاستهزاء بالإيمان والمؤمنين**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)﴾ (البقرة: 14-16).

4. **حُسن القول المُعجب الذي يكون له وقع في القلوب والمهارة في الجدل، وقوة الإقناع**؛ لقمع كل معارضة تقف أمامه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (206)﴾ (البقرة: 204-206).

5. **موالاة الكفار، وحبّهم ونصرتهم**. قال الله تعالى: بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) (النساء:138-139).

6. **الكسل في العبادة**: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء:142).

7. **المراءاة في العبادة**: يقول سبحانه وتعالى فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء:142)، وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: «من راءى راءى الله به، ومن سمع سمع الله به».

8. **الاستهزاء بالقرآن والسنة والرسول صلى الله عليه وسلم**: يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة:65-66).

9. الحلف الكاذب: يقول سبحانه وتعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (المجادلة:16).

10. **التخذيل والإرجاف**: قال سبحانه وتعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الأحزاب:60)، قال الشعبي: ما رأيت مثل المرجفين، والله لو أصبت تسعا وتسعين مرة لنسوها ولعدوا علي غلطة واحدة.

11. **الاعتراض على القدر**: قال سبحانه في المنافقين: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران:168).

12. **الوقوع في أعراض الصالحين**: والوقوع في الأعراض يختلف عن الاستهزاء. فالوقوع مثل الغيبة. يقول تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ (الأحزاب:19).

13. **مخالفة الظاهر للباطن**: وهذه المسألة تدور عليها كل المسائل. يقول سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون:1) قال ابن القيم: "وكان بعض الصحابة يقول أعوذ بالله من خشوع النفاق قالوا وما خشوع النفاق قال أن ترى

الجسد خاشعا والقلب غير خاشع وأساس النفاق وأصله هو التزين للناس بما ليس في الباطن من الإيمان"[1].

14. **الاعتذار كذبا**: قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ (التوبة:94). قال الشيخ الشعراوي في تفسير هذا الآية: "ويأتي بعدها ذلك الرد الواضح على محاولة المنافقين في الاعتذار : ﴿قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ﴾ ، وفي هذا رد حاسم ، فأنت حين يعتذر إليك إنسان فقد تستمع لعذره ولكنك لا تقبله ، ومجرد استماعك للعذر معناه أن هناك احتمالاً في أن يكون هذا العذر مقبولاً أو مرفوضاً ، ولكن حين ترفض مجرد سماع العذر ، فمعنى ذلك ألاَّ وجه للمعذرة. والحق سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ فكأنما ساعة أقبل المنافقون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرمنين؛ وتهيأوا للاعتذار؛ وقبل أن ينطقوا بالعذر؛ أوضح لهم الرسول عليه الصلاة والسلام : لا تعتذروا ، ورفض مجرد إبدائهم للعذر"[2].

15. **الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**: يقول تعالى فيهم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (التوبة:67).

16. **قبض الأيدي شحا**: فالمنافقون من أبخل الناس في أمور الدنيا وفي أمور الخير. قال تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة:67).

17. **نسيان الله**: قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: 67)، فهم يذكرون كل شيء إلا الله تعالى، أهله، وأطفاله، والأغاني، والأماني وكل شيء في الحياة الدنيا إلا ذكر الله.

---

(1) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت ، 1973م، (181/2). وذكر في كتابه مدارج السالكين أنه حذيفة ﷺ "وكان بعض الصحابة رضى الله عنهم وهو حذيفة يقول إياكم وخشوع النفاق فقيل له : وما خشوع النفاق قال : أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا طأطأ رقبته فى الصلاة فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب". انظر: مدارج السالكين، (521/1).

(2) انظر: تفسير الشعراوي، مرجع سابق، (3694/1).

18. **التخلف عن الجهاد والابتهاج به**: قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة:81)

19. **الاهتمام بالظاهر وإهمال الباطن والتشدق والتفيهق في الكلام كبرا وعلوا وعتوا**: يقول الله فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون:4) فهذه الآية توضح اهتمامهم بالظاهر وبحسن المنطق، وهم كالخشب المسندة. وذم عليه الصلاة والسلام من تشدق في كلامه. والمتشدق: هو الذي يتفيهق كبرا وعلوا وترفعا عن الناس. يعني ما يخرج الحروف من مخارجها فقط، بل يمطمط الحرف ويتشدق باللسان ويتفاصح في المجلس ويتكلف في الحديث.

20. **النهي عن الإنفاق وعدم الفقه في الدين**: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون:7)

21. **الاستخفاء من الناس ومبارزة الله بالذنوب**. قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ (النساء:108) وهذه العلامة من اهم العلامات التي تميز المنافق عن المؤمن، فالمنافق يجعل الله اهون الناظرين اليه بفعله المنكرات بالخفاء. وإذا ظهر على الناس أبدى عكس ذلك.

22. **الفرح بمصيبة المؤمنين والحزن على مسراتهم**: قال تعالى: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة:50).

23. **لمز المطوعين من المؤمنين والصالحين**: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة:79)

24. **الغدر**: والدليل عليها قوله صلى الله عليه وسلم: وإذا عاهد غدر.

25. **الفجور في الخصومات**: لقوله عليه الصلاة والسلام في الصحيحين: (وإذا خاصم فجر.

26. **الخلف في الوعد**: فمن وعد أخاه ثم اخلف ميعاه فقد تورث شعبة من شعب النفاق.

27. **نقر الصلاة**: وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك أنه قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى تدنو من الغروب» وفي لفظ: «حتى تصفر، ثم يقوم فينقر أربع ركعات ولا يذكر الله فيها إلا قليلا».

رابعا: آثار النفاق وأضراره.

النفاق له آثار خطيرة، وأضرار مُهلكة، منها ما يلي:

1- النفاق الأكبر يسبّب الخوف والرّعب في القلوب، قال الله ﷻ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:64).

2- النفاق الأكبر يُوجب لعنة الله تعالى ودخول النار، قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة:68). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾ (النساء:145). وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (النساء:140).

3- النفاق يوجب مرض القلب والإرجاف في المجتمع، قال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الأحزاب:60).

4- النفاق الأكبر لا يغفره الله إذا مات عليه صاحبه؛ لأنه أشدُّ من الكفر الظاهر الذي قال الله تعالى في أصحابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ (النساء:137).

5- النفاق الأكبر يُحبط جميع الأعمال، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (التوبة:53-54).

6- النفاق الأكبر يُطفئ الله نور أصحابه يوم القيامة، قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد:13).

7- النفاق الأكبر يُسبّب عذاب الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة:55) وقال تعالى: ﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة:85).

8- النفاق الأكبر إذا أظهره صاحبه وأعلنه كان مرتدّاً عن الإسلام، فيكون حلال الدم والمال، وتُطبّق عليه أحكام المرتدّ، إلا إذا تاب وأعلن توبته وحسنت؛ وفي ذلك خلاف لأن المنافقين يُظهرون الإسلام دائماً[1]. أما إذا أخفى المنافق نفاقه وكفره؛ فإنه معصوم الدم والمال بما أظهر من الإيمان، والله يتولى السّرائر؛ فقد بوب الإمام ابن منده في كتابه الإيمان: (ذكر ما يدل على أن قول لا إله إلا الله يوجب اسم الإسلام ويحرم مال قائلها ودمه، وذكر فيه حديث المقداد رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن اختلفت أنا ورجل من المشركين ضربتين فقطع يدي، فلما هويت إليه لأضربه قال: لا إله إلا الله، أأقتله؟ أم أدعه؟ قال: «بل

(1) انظر: فتاوى ابن تيمية، 334/28 .

دعه»[1]. وقال الإمام ابن رجب الحنبلي: "ومن المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلماً" [2]، ويقول: "من أقر صار مسلماً حكماً"[3].

9- والنفاق الأكبر إذا أظهر صاحبه كفره يُوجب العداوة بين صاحبه والمؤمنين، فلا يُوالونه ولو كان أقرب قريب، وأما إذا لم يُظهر كفره فيُعامل بالظاهر، والله يتولَّى السّرائر.

10- وأما النفاق الأصغر، وهو النفاق العملي، فهو ينقص الإيمان ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر من غضب الله تعالى. وعلى صاحبه بالتوبة الدائمة إلى الله تعالى.

خاتمة:

لقد أنزل الله تعالى سورة كاملة هي سورة "المنافقون" تتحدث عن صفاتهم الذميمة ومكايدهم الخبيثة ومكرهك السيء، نزلت تلك السورة في المدينة عندما تعاظم كيد المنافقين فقد بدأت حركة النفاق بدخول الإسلام إلى المدينة المنورة، واستمرت إلى قرب وفاة رسول الله ﷺ وهي في الحقيقة لم تنقطع في أي وقت ، وإنما تغيرت مظاهرها ووسائلها كي تناسب الظروف والأزمان، وقد شغلت من جهد المسلمين ووقتهم وطاقتهم قدراً كبيراً؛ وورد ذكرها في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف مرات كثيرة تدل على ضخامة هذه الحركة ، وأثرها البالغ في حياة المسلمين آنذاك.

وعلة ظهور تلك الحركة المنافقية في المدينة واضحة ، ذلك أنها ظهرت عندما ضعف كيدهم العلني وشوكتهم بين أهل يثرب عندما استطاع النبي ﷺ وقبل أن يهاجر

---

(1) انظر: المنافقون في القرآن، للدكتور عبد العزيز الحميدي، ص450. الإيمان، لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2/ 1406هـ، الإيمان لابن منده – (ج 1 / ص 198). والحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب والديات، باب قوله تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا..﴾، رقم (6358) انظر: صحيح البخاري، مصدر سابق، (21 /154)، ومسلم في القسامة باب المجازاة بالدماء في الآخرة رقم 1678.

(2) انظر: جامع العلوم والحكم، مصدر سابق، (1/ 72).

(3) انظر: جامع العلوم والحكم، المصدر نفسه.

إليها أن يكسب أنصاراً أقوياء من الأوس والخزرج؛ ولم يهاجر إلا بعد أن استوثق من موقفه ، ولم يبق تقريباً بيت عربي فيها لم يدخله الإسلام . في هذه الحالة لم يكن من الهين أن يقف الذين لم يؤمنوا به إما عن جهالة وغباء ، وإما عن غيظ وحقد وعناد ، لأنهم رأوا في قدوم النبي حداً لنفوذهم وسلطانهم موقف الجحود والعداء العلني للنبي ﷺ والمسلمين من المهاجرين والأنصار؛ وكان للعصبية في الوقت نفسه أثر غير قليل في عدم الوقوف هذا الموقف ، لأن سواد الأوس والخزرج أصبحوا أنصار النبي ﷺ، ومرتبطين به بمواثيق الدفاع والنصر ، إلى أن جلهم قد حسن إسلامهم ، وغدوا يرون في النبي ﷺ رسول الله ، وقائدهم الأعلى الواجب الطاعة ، ومرشدهم الأعظم الواجب الاتباع ، فلم يكن يسع الذين ظلت تغلبهم نزعة الشرك ، ويتحكم فيهم مرض القلب والمكابرة والحقد ، ويحملهم ذلك على مناوأة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته ونفوذه أن يظهروا علناً في نزعتهم وعدائهم ، ولم يكن أمامهم إلا التظاهر بالإسلام ، والقيام بأركانه ، والتضامن مع قبائلهم . وجعل مكرهم وكيدهم ودسهم ومؤامراتهم بأسلوب المراوغة والخداع والتمويه ، وإذا كانوا وقفوا أحياناً مواقف علنية فيها كيد ودس ، وعليها طابع من النفاق بارز ، فإنما كان هذا منهم في بعض الظروف والأزمات الحادة التي كانت تحدق بالنبي والمسلمين ، والتي كانوا يتخذونها حجة لتلك المواقف بداعي المصلحة والمنطق والاحتياط؛ ولم يكونوا على كل حال يعترفون بالكفر أو النفاق ، غير أن نفاقهم وكفرهم ومواقفهم في الكيد والدس والتآمر لم تكن لتخفى على النبي ﷺ والمخلصين من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، كما أن المواقف العلنية التي كانوا يقفونها في فرص الأزمات كانت مما تزيد كفرهم ونفاقهم فضيحة ومقتاً . وقد كانت الآيات القرآنية توجه إليهم كذلك الفضائح المرة بعد المرة ، وتدل عليهم بما يفعلون أو يمكرون ، وتدمغهم بشرورهم وخبثهم ومكايدهم ، وتحذر النبي ﷺ والمسلمين منهم في كل ظرف ومناسبة.

ومن هنا وجب على المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية اليوم خاصة ممن ولاّهم الله عز وجل أمانة وضع المناهج الدينية أو البرامج الإعلامية الإسلامية المسموعة والمرئية، والدعاة في سبيل الله، أن يوضحوا حقيقة النفاق وإزالة غبار الغفلة عنه المتراكم عبر عقود من الزمان مما أدي إلى اندثار هذه الحقيقة، حتى تعرضت أجيال

وأجيال للوقوع في هذا المرض المهلك الذي يسبب خسارة الإنسان المسلم لدينه ودنياه، فما لم تحدث صحوة تزيل هذا الغبار كان في الآخرة من هذه الأمة مقولتهم ما ورد في كتاب الله عز وجل : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: 23-24).

مراجع المادة

1. الأبطحي: محمد باقر الموحد، المدخل إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ط1/1969م.
2. ابن أثير الدين المبارك: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي بيروت: دار الفكر، بدون طبعة أو تاريخ،
3. ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت 606هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ط1/1979م
4. ابن الجوزي، عبد الرحمن: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2/1985م
5. ابن باديس: عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت 1359هـ). مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير = تفسير ابن باديس، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1995م،
6. ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ)، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط1/2001م.
7. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: كتاب الإيمان، بيروت: المكتب الإسلامي، [د. ط]، سنة 1406هـ/1986م
8. ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، الخصائص، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4/[د.ت]،.
9. ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، سر صناعة الإعراب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/2000م.
10. ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، نزهة النظر في توضيح نُخْبة الفِكَر في مصطلَح أهل الأثر، تحقيق: عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، [د.ن]، ط2/2008م،

11. ابن حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت 745هـ). البحر المحيط في التفسير= تفسير أبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ط1420/1هـ.
12. ابن دريد، أبو بكر محمد بن حسين، جمهرة اللغة، حيدر آباد، جمهرة اللغة، دار المعارف العثمانية، ط1345/1هـ
13. ابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب (ت 702هـ). إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: عالم الكتب، ط2/ 1987م،
14. ابن عادل: سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي أبو حفص(ت 775هـ). اللباب في علوم الكتاب = تفسير ابن عادل، بيروت: دار الكتب العلمية. ط1419/1هـ/1998م.
15. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير=تفسير الطاهر ابن عاشور، تونس: الدار التونسية، ط1984/1م.
16. ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ). جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الرياض: دار ابن الجوزي، ط1994/1م
17. ابن فارس: أحمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ط1979/1م.
18. ابن منظور: محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري (ت711هـ). لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط1414/3هـ.
19. أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت 745هـ). البحر المحيط في التفسير= تفسير أبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ط1420/1هـ
20. أبو شُهبة: محمد بن محمد بن سويلم (ت 1403هـ). الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، بيروت: دار الفكر العربي
21. أثير الدين، ابن حبان الأندلسي: لمعة الأديب لما في القرآن من الغريب، تحقيق: سمير طه المجذوب، بيروت: المكتب الإسلامي، ط1988/2م

22. الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق: الدار الشامية، ط1/1412هـ.
23. الألمعي: زاهر بن عواض، دراسات في التفسير الموضوعي للقران الكريم، الرياض: مطابع الفرزدق، ط1/1985م.
24. الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ/2001م،
25. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر، بيروت: المكتبة العلمية، ط3/1981م
26. باقر الصدر: محمد. مقدمات في التفسير الموضوعي، بيروت: دار التوجيه الإسلامي، [د.ط.ت]
27. السمين الحلبي: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ا (ت 756هـ). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق: دار القلم، [د.ت.ن].
28. البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا بيروت: دار ابن كثير، ط3/ 1407 – 1987
29. البروسوي، اسماعيل حق. تنوير الأذهان، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، ط2/ 1409هـ 1989م
30. البغوي، معالم التنزيل، بيروت: دار بن حزم، ط1، 1423هـ/ 2002م
31. البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت 885هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور = تفسير البقاعي، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، [د.ط.ت]
32. بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمان. الإعجاز البياني للقرآن الكريم، مصر: دار المعارف، [د.ط.ت]
33. بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، القاهرة: دار المعارف، ط7/[د.ت].
34. البوشيخي: الشاهد. القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، فاس: مطبعة ألفو برانت.

35. البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، سنة: 1424هـ/ 2003م
36. الترابي: حسن. التفسير التوحيدي، بيروت: دار الساقي، ط1/2004م.
37. الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت255هـ). الحيوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2/1424هـ.
38. الجاحظ: عمرو بن بحر. تهذيب الأخلاق، القاهرة: دار الصحابة للتراث، د.ت
39. الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت 816هـ). التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/1983م.
40. الجزائري، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1423هـ2002م
41. الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار الملايين ط4/1956م، 5/1977.
42. الجويني: مصطفى الصاوي، مناهج في التفسير، الإسكندرية، القاهرة: منشأة المعارف، [د.ط.ت].
43. حامد: التيجانى عبد القادر. أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1/1995م.
44. حجازي: محمد محمود. الوحدة الموضوعية في القرآن، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط1/1970م.
45. الحربي: إبراهيم بن إسحاق أبو إسحاق (ت 285هـ). غريب الحديث، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1/1405هـ.
46. الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب. جامع العلوم والحكم، بيروت: دار ابن حزم، ط2/2003م
47. خالد محمد محمود الشرمان الحديث الموضوعي دراسة تأصيلية تطبيقية، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1/2009م
48. الخالدي: صلاح عبد الفتاح. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، عمان: دار النفائس، ط3/ 2013م، ص 64.

49. الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت 463هـ). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف، [د.ن.ط]
50. الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت 463هـ). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف، [د.ن.ط]،
51. خلاف: عبد الوهاب (ت 1375هـ). علم أصول الفقه وخلاصة التشريع الإسلامي، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1/1996م
52. دراز: محمد بن عبد الله (ت1377هـ). النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، بيروت: دار القلم للنشر والتوزيع، ط1/2005م.
53. الدعجاني عبد الله بن نافع، منهج ابن تيمية المعرفي، الخبر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث ط1/2014م.
54. الدغامين: زياد خليل. تفسير القرآن: إشكالية المفهوم والمنهج، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، العدد 81، السنة: 1996م.
55. الدقور: سليمان، التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج، مجلة دراسات: علوم الشريعة والقانون، عمان: الجامعة الأردنية، المجلد 41، العدد1، سنة 2014م.
56. الدمغاني، الحسن بن محمد: إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، بيروت: دار العلم للملايين، ط5/1985م
57. الذهبي: محمد السيد حسين الذهبي (ت1398هـ). التفسير والمفسرون، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1/2000م.
58. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير= تفسير الرازي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3/1420هـ.
59. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 606هـ)، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: الدكتور طه جابر العلواني، بيروت: مؤسسة الرسالة،1997م

60. الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، طنطا: كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1/1999م.
61. رحماني، أحمد. مصادر التفسير الموضوعي، مصر: دار وهبة، ط1/1998م.
62. رشواني: سامر عبد الرحمان. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، حلب: دار الملتقى، ط1/2002م.
63. رضا: محمد رشيد بن علي بن محمد القلموني الحسيني (ت 1354هـ). تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، [د.ط]/1990م.
64. الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى. تاج العروس، بيروت: دار الفكر، ط1/1414هـ/ 1994م
65. الزرقاني: محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ). مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1/1995 م، (6/2).
66. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ). البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط1/1957م.
67. الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ، 1998م
68. الزّيّان: رمضان إسحاق. الحديث الموضوعي دراسة نظرية، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني،
69. سعيد، عبد الستار فتح الله. المدخل إلى التفسير الموضوعي، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2/1991 م.
70. سيد: قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385هـ). في ظلال القرآن، بيروت / القاهرة: دار الشروق، ط17/ 1412 هـ

71. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، القاهرة: مكتبة الآداب، ط1/2004م.
72. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ). تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1/2004م
73. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ). الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1/1974م.
74. الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 790هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، القاهرة: دار ابن عفان، ط1/1997م
75. الشعراوي: محمد متولي، مكارم الأخلاق، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، طبعة 1423هـ، ص348.
76. الشقاري: عبد الله بن ناصر بن محمد. اليهود في السنة المطهرة، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1/ 1996م
77. شلتوت، محمود. من هدي القرآن، القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط1/1968م
78. الشنقيطي: محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1423هـ/2003م،
79. الشوكاني: علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت 1250هـ)، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق: دار الكتاب العربي، ط1/1999م.
80. الصابوني: محمد علي. صفوة التفاسير، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/1997م
81. الصغير: محمد حسين علي. المستشرقون والدراسات القرآنية، بيروت : دار المؤرخ العربي، ط1/1999م

82. الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي (ت 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1/2000م.
83. عباس: حسن. خصائص الحروف العربية ومعانيها، القاهرة: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1/1998م
84. عباس: فضل حسن، التفسير: أساسياته واتجاهاته. عمان: مكتبة دنديس، ط1/2005م.
85. عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق: دار القلم، ط2/1978م،
86. عبدالرحيم: عبد الجليل، التفسير الموضوعي بين كفتي الميزان، رسالة جامعية بجامعة الأردن، سنة 1992م.
87. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي. فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، ط1/ 1379هـ
88. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة، ط1/ 1379هـ،
89. العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت 395هـ) معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ط1/1412هـ.
90. عقيلي إبراهيم، تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1/1994م.
91. العلواني: طه جابر. الوحدة البنائية للقرآن المجيد، القاهرة: دار الشروق الدولية، ط1/2006م،
92. العمادي، أبو السعود: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم..)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت)،
93. العيني، بدر الدين أبو محمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية د.ت.

94. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ). جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، بيروت: دار إحياء العلوم، ط2/1986م.
95. الفراهيدي: الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، [د.ط.ت].
96. الفرماوي: عبد الحي بن حسين. البداية في التفسير الموضوعي: دراسة منهجية موضوعية، القاهرة: توزيع مكتبة جمهورية مصر، ط2/1977م.
97. فريدة زمرد، مفهوم التأويل في القرآن الكريم الحديث الشريف، معهد الدراسات المصطلحية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.
98. الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1/1419هـ1988م
99. القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت 671هـ). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط2/1964م.
100. القطان: مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، بيروت: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3/2000م.
101. الكافيجي: محمد بن سليمان. التيسير في قواعد علم التفسير، تحقيق: ناصر بن محمد المطرودي، الرياض: دار الرفاعي للنشر، ط1/1410هـ.
102. الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى 1094هـ، معجم الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2/1998م،
103. كوريم: سعاد، تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج، مجلة إسلامية المعرفة، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 49، سنة 2007م.
104. الكومي محمد السيد الكومي ومحمد أحمد يوسف قاسم. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، القاهرة: طبعة خاصة بالمؤلفين، سنة 1982م.
105. لابوم، جول، تفصيل آيات القرآن الكريم، ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1955م

106. السماحي: الشيخ محمد محمد، "مذكرات في التفسير الموضوعي لطلبة الدراسات العليا". كلية أصول الدين، الأزهر الشريف، درست هذه الكراسة في فترة الستينات من القرن الماضي.
107. الماوردي: علي بن محمد بن محمد (ت 450هـ)، أدب الدنيا والدين، بيروت: دار مكتبة الحياةط1/ 1986م.
108. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، المعجم الوسيط، الرياض: دار الدعوة، [د.ط.ت].
109. ابن قيم الجوزية: لمحمد بن أبي بكر أيوب. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2/ 1973م
110. مرتضى الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت 1205هـ). تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت: دار الفكر، ط1/1414هـ.
111. مسلم: مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق: دار القلم، ط1/1989م.
112. مكي بن أبي طالب: حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه = تفسير مكي ابن أبي طالب، الشارقة: جامعة الشارقة، ط1/2008م.
113. الملخص في شرح كتاب التوحيد، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة، الرياض،ط1/ 2001م، ص18.
114. موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن ملوح، جدة: دار الوسيلة، ط1/1418هـ/1998م
115. الميداني أبو الفضل أحمد: مجمع الأمثال، قدم له وعلّق عليه: نعيم حسين زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية ط1/1408هـ1988م.

116. الميساوي: محمد الطاهر، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، مجلة التجديد، كوالامبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد29، 1432هـ/2011م

117. النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت 303هـ). السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1/2001 م

118. النسفي: عبدالله بن أحمد بن محمود. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت: دار العلم الطيب، ط1، 1419هـ1998م

119. نصيرات: جهاد محمد فيصل. التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية، مجلة دراسات: علوم الشريعة والقانون، عمان: الجامعة الأردنية، المجلد 40، عدد 1، 2013

120. النيسابوري: محمود بن أبى الحسن. إيجاز البيان في معاني القرآن = تفسير النيسابوري، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1/ 1415 هـ،

121. الواحدي، الوجيز في علم التفسير، دار العلم، دمشق، ط1، سنة 1415هـ/1995م، ج1،

122. يحيى إسماعيل. منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم. المنصورة: دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط1/1986م

123. http://www.alukah.net/translations/0/28424/#ixzz4eJ1sTqdG

124. http://www.brill.com/publications/onlineresources/encyclopaediaquranonline.

125. https://www.alukah.net/sharia/0/108960/#ixzz65T3a7CBX